

البيت السفياني

# معاوية بن أبي سفيان



٤١-٦٠ هـ / ٦٦١-٦٨٠ م



هو: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الرحمن القرشي الأموي، أمير المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح.

وقد روي عن معاوية أنه قال: أسلمت يوم عمرة القضاء ولكني كتمت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح، وقد كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية، وآلت إليه رياسة قريش بعد يوم بدر، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب، وكان رئيساً مطاعاً ذا مال جزيل، ولما أسلم قال: يا رسول الله مرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: «نعم»، قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: «نعم». ثم سأل أن يزوجه رسول الله بابنته، وهي عزة بنت أبي سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة، فلم يقع ذلك، وبين رسول الله أن ذلك لا يحل له. والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله مع غيره من كتاب الوحي رضي الله عنهم.

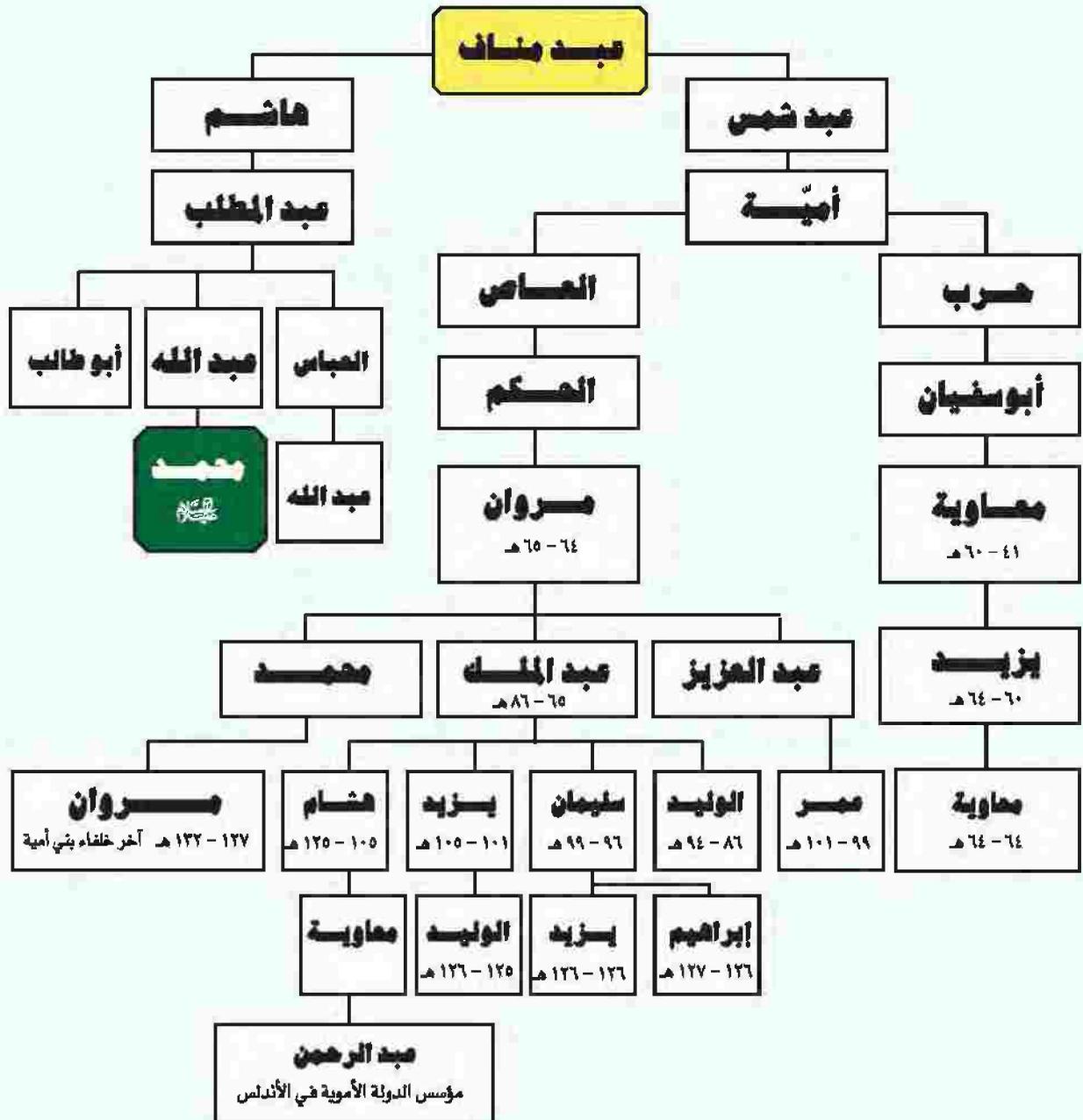
ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان، وأقره على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلداً أخرى، وهو الذي بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة، قاله الحافظ ابن عساكر.

ولما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولي عليها سهل بن حنيف فمزله فلم ينتظم عزله والتف عليه جماعة من أهل الشام ومانع علياً عنها وقد قال: لا أبايعه حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه قتل مظلوماً، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَدَدًا جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ﴾ [الاسراء: ١٣٢]. وروى الطبراني عن ابن عباس أنه قال: ما زلت موقناً أن معاوية يلي الملك من هذه الآية.

فلما امتنع معاوية من البيعة لعلي حتى يسلمه القتلة، كان من صفين ما قدمنا ذكره ( في كتاب البداية والنهاية )، ثم آل الأمر إلى التحكيم، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوة جانب أهل الشام في الصعدة الظاهرة. واستفحل أمر معاوية، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم كما تقدم، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن علي، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان. ثم ركب الحسن في جنود العراق عن غير إرادة منه، وركب معاوية في أهل الشام. فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما في الصلح فانتهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان. وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة إحدى وأربعين - ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما بايعه الناس - واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وسُمي هذا العام: عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة.

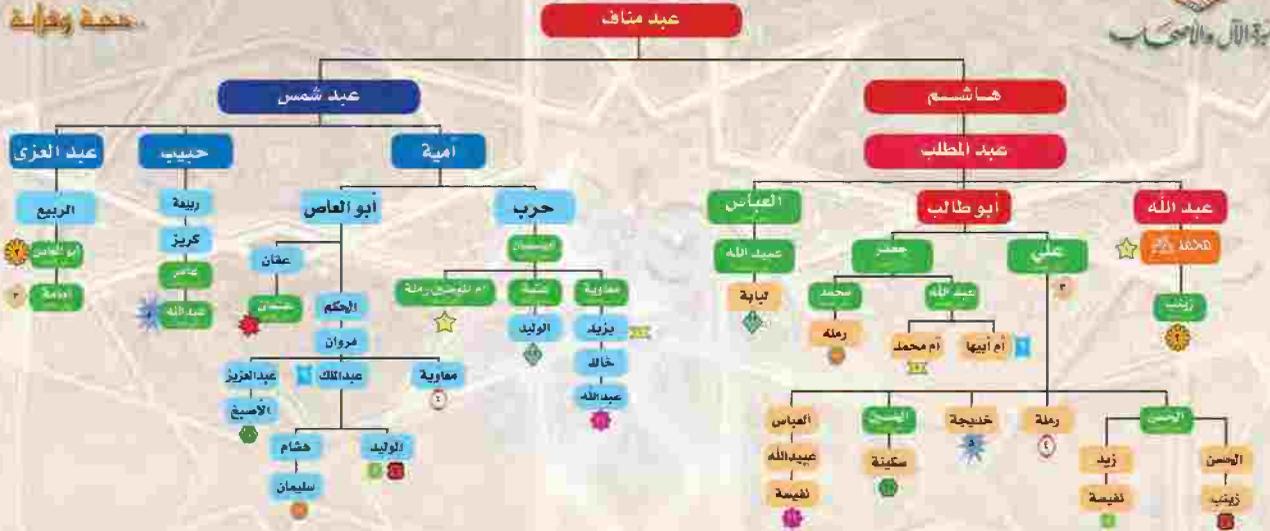


## شجرة نسب الخلفاء الأمويين



المصاهرات بين أهل بيت النبي ﷺ وبنو عمومتهم

الأصل والصلابة  
حجة وعزيمة



لقد أرفنا أفراد مصاهرات أهل البيت رضي الله عنهم مع عثمان بن عفان وذريته رضي الله عنهم في إصدار مستقل لأهميتها وكثرتها.

ملحوظة مهمة: هذه الشجرة تشمل بعض المصاهرات والأنساب لا كلها

مصادر: التوافق في الرقم وشكل الرمز يدل على المصاهرة بين هاتين الشخصيتين الكريمتين من بني هاشم وبني عبد شمس

- |                              |                                       |                           |
|------------------------------|---------------------------------------|---------------------------|
| تاريخ دمشق لابن عساکر        | - عبد الطالب لابن سنية                | - منتهى الأمل لعباس القمي |
| - الطبقات الكبرى لابن سعد    | - أنساب الأشراف للبلذري               | - الجيز لابن حبيب         |
| - جمهرة أنساب العرب لابن حزم | - تاريخ اليعقوبي                      | - الأسبلي لابن العسقلني   |
| - نسب قرين الزبير بن عازر    | - مقاتل الطالبين لابن الفرج الأصبهاني | - كشف الغمة للأزدي        |
- هاتف: ٢٥١-٢٥٠ / ٢٥٢٤٤٠ / ٢٥٢٤٤١ / فاكس: ٢٥١-٢٥١ / ص.ب: ١٤٤١ القاهرة البريدي 71653 التلکھت  
www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

**عام الجماعة:** بايع أهل العراق الحسن بن علي - رضي الله عنهما - بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ( ٤٠ هـ ) ، وأشاروا عليه بالسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، فزحف بمن معه، وتقارب الجيشان في موضع يقال له ( مسكن ) بناحية الأنبار، ولم يستشعر الحسن الثقة بمن معه، وهاله أن يقتتل المسلمون وتسيل دماؤهم، فكتب إلى معاوية يشترط شروطاً للصالح، ورضي معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة ( ٤١ هـ ) ، وسُمي هذا العام ( عام الجماعة ) لاجتماع كلمة المسلمين فيه ، وانصرف الحسن - رضي الله عنهما - إلى المدينة النبوية حيث أقام، وهذا الفعل الذي قام به الحسن هو تأكيد على قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين " وقد وقع ما أخبر به بتنازل الحسن عن المطالبة بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان فاطفاً الله به نار الحرب بين الصحابة وسموا ذلك العام بعام الجماعة" فقامت الدولة الإسلامية الأموية على يد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - في وقت كان المسلمون أحوج ما يكونون فيه إلى وحدة الصف وجمع الكلمة، فجمعهم الله على معاوية بعد تنازل الحسن - كما أسلفنا - في " عام الجماعة " عام ٤١ هـ / ٦٦١ م.



الخوارج في عهد معاوية

من هم الخوارج؟

هم الطائفة الخارجة على سلطة الدولة الإسلامية، وسموا بذلك لخروجهم على علي رضي الله عنه ثم خروجهم على كل من لم يوافقهم من الأئمة، عدولاً كانوا أم جائرين، وصفة الخروج على الأئمة من غير موافقيهم هي أخص أوصافهم، حتى نص بعض العلماء على أنه لا يصح إطلاق وصف الخوارج إلا على من كفر المسلمين، وسل سيفه عليهم، وأراد تغيير السلطة الحاكمة من غير وجه شرعي .

لجأ الخوارج في مستهل معارضتهم إلى القوة واستخدام السيف في فرض أفكارهم، وآرائهم على الناس، وأبدوا في صراعهم الدموي مع الدولة الأموية كثيراً من ضروب الشجاعة، والتضحية، والإقدام، ولو أن شجاعتهم وبطولاتهم اتجهت اتجاهاً صحيحاً، ووجدوا جهودهم مع الدولة الأموية في مجال الفتوحات الإسلامية ومحاربة أعداء الإسلام، لكان ذلك أجدى وأنفع، والعجيب أن أغلبهم لم يكونوا من طلاب الدنيا، والتطلع إلى المال، والمناصب، وإنما كانوا طلاب آخرة، ولكنهم أخطأوا الطريق إليها.

ثورات الخوارج في عهد معاوية

ثورة الخوارج في البصرة

١. حركة يزيد الباهلي وسهم الهجيمي .
٢. حركة قريب الأزدي، وزحاف الطائي.
٣. خبر عروة بن أدية الخارجي.
٤. حركة مرداس بن أدية .

ثورة الخوارج في الكوفة

١. حركة فروة بن نوفل الأشجمي.
٢. حركة المستورد بن علفة التيمي « تيم الرباب ».
٣. حركة حيان بن ظبيان السلمي.



قال الطبري في أحداث عام ٤١ هـ: وفيها خرجت **الخوارج** التي اعتزلت أيام علي عليه السلام بشهرزور على معاوية، وقال: حدثت عن زياد، عن عوانه، قال: قدم معاوية قبل أن يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة، فقالت الحرورية، الخمسمائة التي كانت اعتزلت بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه، فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام، فكشفوا أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائتكم، فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم، فقالت لهم الخوارج: ويلكم ما تبغون منا، أليس معاوية عدونا وعدوكم، دعونا حتى نقاتله، وإن أصبنا كنا قد كفييناكم عدوكم، وإن أصابنا كنتم كفيتمونا، قالوا: لا والله حتى نقاتلكم، فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهر، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة، وأخذت أشجع صاحبهم فروة بن نوفل - وكان سيد القوم - واستعملوا عليهم عبد الله بن أبي الحر - رجلاً من طيء - فقاتلوهم فقتلوا. تاريخ الطبري: (٨١/٦).





كانت هذه الحركة عام ٥٨ هـ وكانت في ولاية عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، ففي أثناء ولايته خرجت الطائفة الذين كان المغيرة بن شعبه حبسهم في السجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد بن علفة، فظفر بهم فاستودعهم السجن، فلما مات خرجوا من السجن، وقام بحركة مضادة للخلافة وكان رئيسهم حيان بن ظبيان السلمي، فبعث إليهم والي الكوفة (المغيرة بن شعبه) جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً.



في عام ٤١ هـ خرج في ولاية عبد الله بن عامر معاوية، يزيد بن مالك الباهلي، وخرج معه سهم بن غالب الهجيمي، فأصبحوا عند الجسر، فوجدوا عبادة بن قرص الليثي أحد بني بجر. وكانت له صحبة. يصلي عند الجسر، فأنكروه فقتلوه ثم سألوا ابن عامر الأمان فأمنهم وكتب إلى معاوية قد جعلت لهم ذمتك، فكتب إليه معاوية: تلك ذمة لو أخفرتها لا سئلت عنها، فلم يزالوا آمنين حتى عزل ابن عامر. وفي عام ٤٦ هـ خرج سهم الهجيمي والخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلي لما تولى زياداً، فأما سهم فخرج إلى الأهواز فأحدث وحكم ثم رجع فاختمى وطلب الأمان، فلم يؤمنه زياد حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه، وأما الخطيم فإن زياداً سيره إلى البحرين، ثم أذن له فتقدم، فقال له: الزم مصرك، وقال لمسلم بن عمرو الباهلي: أضمنه، فأبى وقال: إن بات عن بيته أعلمتك، ثم أتاه مسلم، فقال: لم يبيت الخطيم الليلة في بيته فأمر به قتل، وألقي في باهلة. ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٤٧٧/٢).



في عام ٥٠ هـ خرج قريب الأزدي وزخاف الطائي **بالبصرة** وهما ابنا خالة، وزياد بالكوفة وسمرة على البصرة، فأتيا بني ضبيعة، وهم سبعون رجلاً، وقتلوا منهم شيخاً، وخرج على قريب وزخاف شباب من بني علي ويني راسب فرموهم بالنبل، وقتل عبد الله بن أوس الطاحي قريباً وجاء برأسه واشتد زياد على المنبر فقال: يا أهل البصرة والله تكفنتني هؤلاء أولادكم، والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهماً، فثار الناس بهم فقتلوهم . ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٤٨٢/٢) .





في سنة ٥٨ هـ اشتد عيب الله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم صبياً جماعة كثيرة، وفي الحرب جماعة أخرى، وممن قتل منهم صبياً عروة بن أديّة وأبو بلال مرداس بن أديّة، وكان سبب قتله أن ابن زياد قد خرج في رهان له، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع إليه الناس وفيهم عروة، فأقبل على ابن زياد يعظه، وكان مما قال له: ﴿ أَتَيْتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آتَةٍ تَعْبُسُونَ \* وَتَتَّخِذُونَ مَصَابِعَ لَكُمْ تَخْلُدُونَ \* وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ (الشعراء، الآيات: ١٢٨ - ١٣٠). فلما قال ذلك ظن ابن زياد أنه لم يقل ذلك إلا ومعه جماعة، فقام وركب وترك رهانه. فقيل لعروة: ليقتلنك، فاختمى، فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة فأخذ وقدم به على ابن زياد فقطع يديه ورجليه.. ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال أرى أنك أفسدت دنياي وأفسدت آخرتك، فقتله وأرسل إلى ابنته فقتلها، بسبب اعتناقها مذهب والديها. وذكر المبرد في كتابه الكامل في اللغة سببين هاميين كان لهما أثر كبير في مقتل عروة بن أديّة، الأول: تكفير هذا الخارجي لعثمان وعلي رضي الله عنهما، والثاني: إقدامه على مساعدة أخيه مرداس بن أديّة على الخروج - الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٤٣.



خرج مرداس بن أدية، بالأهواز وكان ابن زياد قبل ذلك حبسه فيمن حبس من الخوارج، فكان السجنان يرى عبادته، واجتهاده، وكان يأذن له في الليل، فينصرف، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد، فذكر ابن زياد **الخوارج** فعزم على قتلهم، إذا أصبح، فأنطلق صديق مرداس إلى منزل مرداس فأخبرهم، وقال: أرسلوا إلى أبي بلال في السجن فليهد فإنه مقتول، فسمع ذلك مرداس، وبلغ الخبر صاحب السجن، فبات بليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم الخبر مرداس فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي كان يرجع فيه إذا به قد طلع، فقال له السجنان: هل بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: نعم، قال: ثم غدوت لقال: نعم، ولم يكن جزائك مع إحسانك أن تعاقب بسببي، وأصبح عبيد الله فجعل يقتل الخوارج، ثم دعا مرداس، فلما حضر وثب السجنان. وكان ظئراً لعبيد الله، فأخذ بقدمه، ثم قال: هب هذا، وقص عليه قصته، فوهبه له وأطلقه. وقد أشار البلاذري إلى أن عزم عبيد الله بن زياد على قتل من في السجن من الخوارج كان بسبب إقدام بعضهم على قتل أحد الحرّاس. ثم إن مرداس خاف ابن زياد **فخرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز**، فكان إذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاء، وعطاء أصحابه ثم يرد الباقي، فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم جيشاً عليهم أسلم بن زرعة الكلبي سنة ستين، وقيل أبو حصين التميمي، وكان الجيش ألفي رجل، فلما وصلوا إلى أبي بلال ناشدهم الله أن يقاتلوه فلم يفعلوا، ودعاهم أسلم إلى معاودة الجماعة، فقالوا: أتردوتنا إلى ابن زياد الفاسق؟ فرمى أصحاب أسلم رجلاً من أصحاب أبي بلال فقتلوه، فقال أبو بلال: قد بدؤوكم بالقتال. فشدّ الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم فقدموا البصرة، فلام ابن زياد أسلم وقال: هزمك أربعون وأنت في ألفين، لا خير فيك. فقال: لأن تلومني وأنا حي خير من تثني علي وأنا ميت، فكان الصبيان إذا رأوا أسلم صاحوا به: أما أبو بلال وراءك فمشكا ذلك إلى ابن زياد، فتهاهم فانتهبوا. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٤٢.

## سياسة معاوية بن أبي سفيان الخارجية

وضع معاوية أسساً مدروسة، وقواعد ثابتة في سياسته الخارجية، ولكن عهده لم يشهد فتوحات على نطاق واسع، كما كان الحال في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إنما هذا لم يكن تقصيراً منه بل حسن تقدير للأمور، وإذ أدرك جسامه المهمة الملقاة على عاتقه في حقل السياسة الخارجية التي تتمثل في تثبيت الفتوحات الإسلامية في المشرق، والقضاء على الحركات التمردية، التي كانت تقوم بين الحين والآخر في أنحاء متفرقة من البلاد، نتيجة الشعور القومي لدى الفرس. ومن ناحية ثانية كان معاوية يعمل جاهداً على نشر الدين الإسلامي بين الشعب الفارسي. ومن أجل ذلك أسكن عشرات الآلاف من الأسر العربية في المناطق الفارسية، وبصفة خاصة في خراسان، حتى يكون اختلاط العرب بالفرس سبيلاً إلى نشر التعاليم الإسلامية، واللغة، والثقافة العربية. ومع هذا لم يغفل حراسة الحدود، فكانت الغزوات تتطلق من ثغر السند، إلى حدود بلاد ما وراء النهر.

وهكذا قدر معاوية أن تثبيت الفتوحات ونشر الإسلام في البلاد الشرقية أجدى من الفتح والتوسع. وقد نجحت هذه السياسة في هذا الجناح الشرقي من الدولة الإسلامية.

أما الجناح الغربي، وأعني بلاد الشام ومصر، فكانت المواجهة مع الدولة البيزنطية لا بد لها من سببين: الأول قرب الدولة البيزنطية من مركز القيادة في دمشق. الثاني أن خطر الدولة البيزنطية ظل قائماً، وتهديدها للدولة الإسلامية كان ولا يزال مستمراً. وقد وقف معاوية من خلال خبرته السياسية، أثناء توليه بلاد الشام، على أهداف البيزنطيين القاضية بطرد المسلمين من هذا البلد. فركّز معظم جهوده للتصدي لهم، وإيقافهم عند حدهم، خاصة في ميدان البحر، وأتبع في سبيل ذلك استراتيجية عسكرية خاصة<sup>(١)</sup>.

## جبهات القتال الخارجية في عهد معاوية



١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٨.



## أولاً : الجبهة البيزنطية (١)

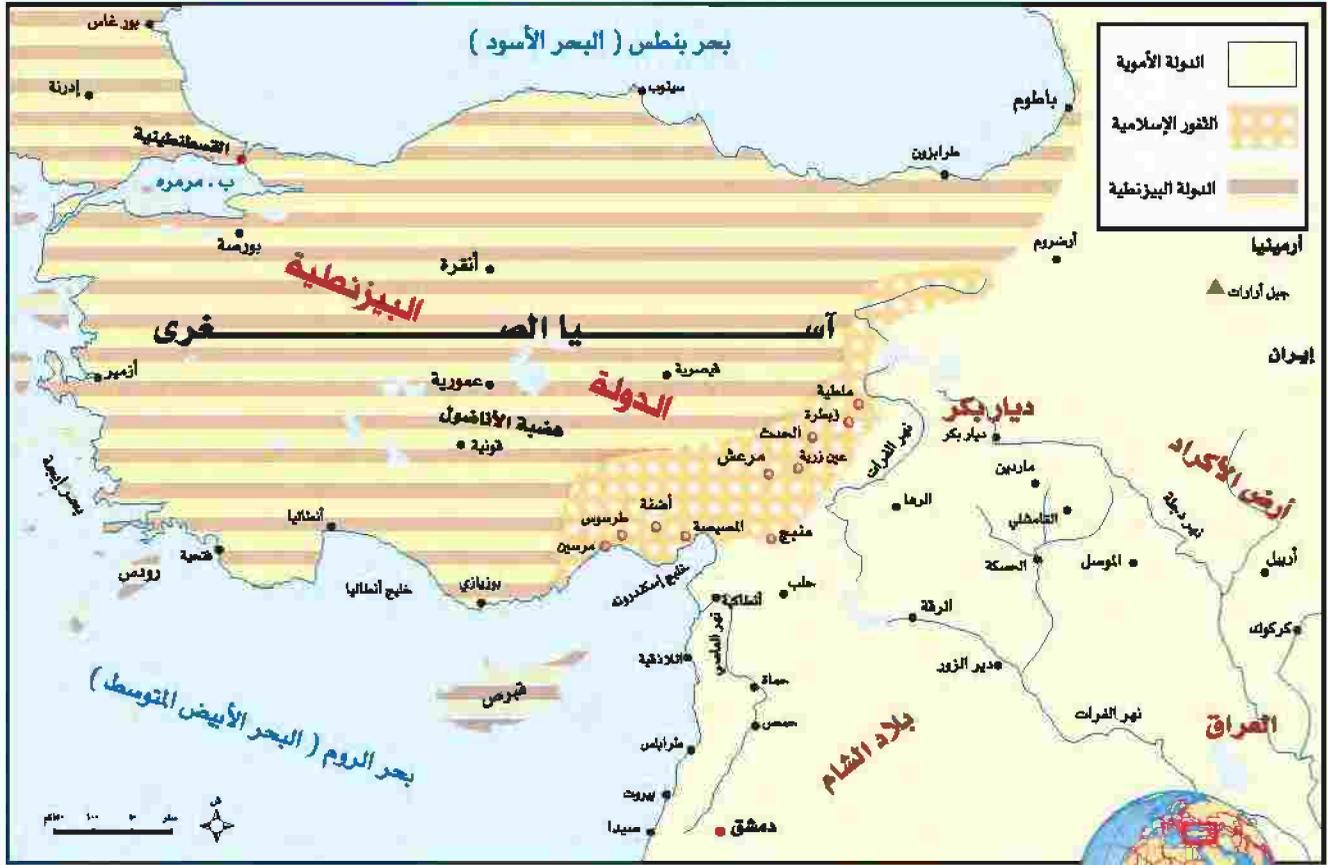
شهدت العلاقات الإسلامية البيزنطية، ابتداء من منتصف القرن الأول الهجري سلسلة من الأحداث الهامة أثرت في العالمين الإسلامي والبيزنطي وجعلت الصراع العسكري بينهما سجلاً متأرجحاً بين النصر والهزيمة، والسلم والحرب وفقاً لمقتضيات الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل منهما. ويرجع الفضل للخلافة الأموية عامة، ول معاوية خاصة، في وضع سياسة عسكرية واضحة الأهداف والمعالم ضد الدولة البيزنطية، وتنظيم الحملات **لمهاجمة القسطنطينية**. والحقيقة أن معركة ذات الصواري - حدثت في العهد الراشدي، انظر كتابنا أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه - حولت العلاقات العسكرية بين المسلمين والبيزنطيين نحو اتجاه جديد في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، إذ إنها اعتبرت المدخل الذي أطل منه الأمويون على العالم الوسيط كقوة بحرية منافسة في المنطقة. كما أنها أضاعت آخر الفرص من البيزنطيين؛ لاستعادة مواقعهم في الشام ومصر، حيث كان اعتمادهم على التفوق البحري. لكن انحسار الدولة البيزنطية وانكفاءها إلى ما وراء حدودها في آسيا الصغرى، لم يدفعها إلى التخلي نهائياً عن هذه المنطقة ذات الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية، لوجودها واستمرارها كدولة كبرى. لذلك لم يفت على معاوية هدف البيزنطيين، كما لم يتجاهل الفراغ العسكري الذي أحدثوه في المنطقة. فوضع نصب عينيه هدفين :

**أولهما :** إقامة نظام ثابت لحماية المناطق الحدودية والشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين وحلفائهم **المردة**.

**ثانيهما :** الاستيلاء على **القسطنطينية** عاصمة الإمبراطورية البيزنطية.

تمثلت أبرز خطوط هذا النظام الحربي في إقامة مراكز دفاعية في مناطق الحدود، وحاميات عسكرية دائمة في المعامل الأمامية، والممرات الجبلية على تخوم الدولة البيزنطية، وهي التي تعرف باسم "الثغور". إنها مواقع عسكرية متقدمة ملاصقة لحدود العدو.

ورأى معاوية ضرورة الاهتمام بهذه المناطق الحدودية وتعميرها وتحصينها، فاهتم بمدينة **أنطاكية** التي كانت معرضة باستمرار للغارات البيزنطية المفاجئة، فأغرى الناس على الإقامة فيها بأن منحهم إقطاعات من الأرض كما نقل إليها في عام "٤٢هـ - ٦٦٢م" **جماعة من الفرس** وجماعات من أهل بعلبك وحمص والبصرة والكوفة،



### الفتوح الإسلامية بين المسلمين والبيزنطيين في العصر الأموي

ثم أخذ يوالي تدريجياً تعمير المدن التي خرج منها البيزنطيون بعد الفتوحات الإسلامية كما نفذ إعادة استيطان المدن التي خرج منها البيزنطيون بعد الفتوحات الإسلامية. فبالإضافة إلى أنطاكية وحمص، نقل قوماً من فرس بعلبك، وحمص إلى صور، كما نقل قوماً من زط البصرة، والسيابجة إلى السواحل وأنزل بعضهم أنطاكية.

وحتى يقوي معاقل الحدود فتح سميساط، وملطية، وجدد حصوناً أخرى مثل: مرعش، والحدث، وفتح حصن زبطرة الاستراتيجية وأعاد تحصينه. وأبدى نشاطاً ملحوظاً في ترميم المدن الساحلية وتحصينها لتقوى على صد غارات البيزنطيين من البحر. فرمم عكا، وصور، وحصن جبلة، وشحنها بالمرابطة، ومضّر نظرطوس فبناها وأقطع بها القطائع.

وارتبط بهذا النظام الدفاعي نظام آخر ذو خصائص هجومية دفاعية مشتركة وهو ما عرف **بالشواتي والصوائف**. إنها حملات دورية منتظمة كانت تتوجه إلى الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى ويشرف عليها قادة اختصاصيون هدفها السيطرة على الحصون، والمعاقل الجبلية المهمة والقيام بغارات داخل الأراضي البيزنطية والتصدي

للبيزنطيين إذا ما حاولوا التقدم داخل الأراضي الإسلامية.

ونظراً لأن المعارك والصراعات العسكرية التي كانت تحدث بينه وبين البيزنطيين بمجملها بحرية أدرك معاوية أهمية تمزيق الأسطول البحري في :

١. الدفاع عن السواحل.

٢. غزو الجزر البحرية المواجهة لساحل الشام مثل: أرواد وقبرص ورودس، ليتخذها مراكز أمامية لتوجيه الغزوات البحرية منها إلى بلاد البيزنطيين.

٣. الدفاع عن البلاد المفتوحة والأملاك المكتسبة .

٤. استمرار العلاقات التجارية الخارجية مع بلاد البحر الأبيض المتوسط؛ خاصة وأن هذا البحر كان ولا يزال في قبضة البيزنطيين. لذلك وضع مخططاً للتفوق على هؤلاء في البحر وإبعادهم عن السواحل.

وتنفيذاً لهذا المخطط بنى معاوية البحرية الإسلامية، وأنشأ أسطولاً بحرياً، عهد بإدارته إلى عدد من الملاحين العرب من بني الأزد الفساسنة. وبفضل هذا الأسطول، تمكن المسلمون من إحكام سيطرتهم على سواحل بلاد الشام، وتنفيذ خطة السيطرة على الجزر. وبذلك يكون معاوية أول من نظم أسطولاً بحرياً، وأول من أرسل حملة إسلامية للغزو في البحر المتوسط .

وغزا المسلمون بقيادة معاوية جزيرة قبرص في عام "٢٨ هـ - ٦٤٩ م" واستولوا عليها. وكان النصر الذي لازم هذه الحملة بداية مرحلة من النشاط البحري للمسلمين الذين قاموا، خلال السنوات التالية، بسلسلة من الغارات البحرية من قواعدهم في بلاد الشام ومصر وتمهيداً لحصار القسطنطينية، وقد رافقت هذه الحملات البحرية، حملات أخرى برية بهدف دراسة الطرق المؤدية إليها<sup>(١)</sup>.

### الطريق إلى القسطنطينية

بعد أن استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هـ خليفة للمسلمين بأشر في تطوير الأسطول البحري ليكون قادراً على دك معاقل القسطنطينية عاصمة الروم ومبعث العدوان والخطر الدائم ضد المسلمين، فبعد أن قضى معاوية على حركات **المردة أو الجراجمة** الذين استخدمهم الروم وسيلة لرصد حركات الدولة الإسلامية ونقاط ضعفها وإبلاغ الروم عنها متخذين من مرتفعات طوروس وجبل اللكام مقراً لهم<sup>(٢)</sup>.

١ - د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٧ .

٢ - العلاقات المربية البيزنطية في العصر الأموي، ص ٥١ .



جزء من خارطة تاريخية عثمانية تشتمل على حوض البحر المتوسط والبحر الأسود تمود إلى بدايات مطلع العصر الحديث



## الحصار الأول للقسطنطينية (١)

بعث معاوية رضي الله عنه في سنتي ٤٧-٤٨هـ سرايا من قواته لتغير على الأراضي البيزنطية لتمهد الطريق في سبيل الوصول إلى **القسطنطينية** فتمكن مالك بن هبيرة السكوني من قضاء الشتاء في الأراضي البيزنطية، ولقد شهدت سنة ٤٩هـ/٦٦٩م أول حصار إسلامي لمدينة القسطنطينية ذلك أن نجاح قوات المسلمين في توغلهم في **الأراضي البيزنطية** بالإضافة إلى الصراعات الداخلية التي واجهها الإمبراطور قسطنز الثاني نتيجة تمرد اثنين من قادته، هما: سيليوس وميزيريوس، كل ذلك ساعد معاوية رضي الله عنه على أن يبعث قواته في **البر والبحر** بقيادة كل من فضالة بن عبيد الليثي وسفيان بن عوف العامري يساعدهم يزيد بن شجرة الرهاوي، تجاه القسطنطينية، ووصل الأسطول الإسلامي إلى خلقيدونية. ضاحية من ضواحي القسطنطينية على البر الآسيوي. وحاصرها توطئة لاقتحامها في محاولة لاختراق المدينة من تلك الناحية، ولكن انتشار مرض الجدري وفتكه بكثير من جند المسلمين علاوة على حلول الشتاء القارص جعل ظروف الجيش المحاصر صعبة للغاية، فما كان من فضالة بن عبيد الليثي، قائد الجيش البري إلا أن استجد بمعاوية طالباً منه أن يمدّه بقوات إضافية، فأرسل معاوية رضي الله عنه مدداً من الجيش يضم بين أفراده مجموعة من الصحابة، أمثال: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو أيوب خالد بن يزيد الأنصاري، رضي الله عنهم، وكان القائد العام لهذه الفرقة هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وعندما وصل يزيد بقواته إلى خلقيدونية انضم إلى الجيش المرابط هناك، وزحفوا جميعهم نحو القسطنطينية وعسكروا خلف أسوارها ضاربين عليها الحصار حوالي ستة أشهر « من الربيع إلى الصيف » وكان يتخلل هذا الحصار اشتباكات بين قوات القوتين، وأبلى يزيد في هذا الحصار بلاءً حسناً وأظهر من دروب الشجاعة والنخوة والإقدام ما حمل المؤرخين على أن يلقبوه بـ « فتى العرب ». وكادت القوات الإسلامية أن تحرز انتصاراً لولا أنهم واجهوا صعوبات جمة منها: الشتاء الغزير المطر، والبرد القارص مما أدى إلى نقص الطعام والأغذية، وتفشي الأمراض بينهم، كما كان لمناعة أسوار القسطنطينية أثرها في تراجع المسلمين وإجبارهم مرة أخرى على العودة إلى بلاد الشام، كما كانت النار التي فتحتها المتحصنون بها على جيش المسلمين من أهم الأسباب التي عوقت قدرتهم على فتحها، ويعد غزو القسطنطينية من دلائل النبوة حيث أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: ... أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، وقد اشترك في غزو القسطنطينية عدد من كبار الصحابة رضوان الله عليهم، طلباً للمفخرة التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.





عمود قسطنطين في إحدى ساحات  
أستانبول التركية، ويرى خلفه أحد  
المساجد العثمانية القديمة.

### عمود قسطنطين

( جمبرلي تاش )، بدأ الإمبراطور قسطنطين ببناء مدينته من جديد ووضع في منتصف ميدان قسطنطين نصباً عمودياً يحمل اسمه، مصنوع من الرخام الساقى المصقول والأسطواناني والأحجار الكريمة التي جلبها من روما وزخرفت نهاية العمود على شكل باقات الزهور، ارتفاع المبنى ٥٠ م وأبعاده ٢٥×٢٧م وفيها أربعة مدرجات وقاعدة واحدة . جلب هذا العمود من قبل الرومان من إفريقيا إلى معبد أبولو الموجود في روما وفوقه إله الشمس، وتمثال أبولو؛ لكن الإمبراطور قسطنطين أمر بوضع ذكرى آلهة الشمس هيلوس على هيكله وحول رأسه سبعة كلاليب رمزية.

يحمل الهيكل في يده اليسرى صليباً مربعاً مصنوعاً من الذهب ويحمل في يده اليمنى حربة. حدثت بالعمود أضرار في العهد العثماني حتى تم ترميم محيطه الحديدي بسبب الحرائق والزلازل التي حدثت؛ وقاعدة العمود كما هو واضح من الصورة مبنية من صخور ارتفاعها ١١ م .

### وفاة أبي أيوب الأنصاري في حصار القسطنطينية<sup>(١)</sup> :

هو خالد بن زيد بن كليب، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا والعقبة والمشاهد كلها، وشهد مع علي رضي الله عنه قتال الخوارج، وفي داره كان نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قدم المدينة مهاجرًا من مكة فأقام عنده شهرًا حتى بنى المسجد ومسأكنه حوله، ثم تحوّل إليها، وقد وفد أبو أيوب على عبد الله بن عباس لما كان والياً على البصرة في عهد علي، فبالغ في إكرامه، وقال لأجزينك على إنزالك النبي صلى الله عليه وسلم عندك، فوصله بكل ما في المنزل فبلغ ذلك أربعين ألفاً، وجاء في رواية لما أراد الانصراف خرج له عن كل شيء بها، وزاده تحفاً وخدمًا كثيراً وأعطاه أربعين ألفاً وأربعين عبداً، إكراماً له لما كان أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره، وقد كان من أكبر الشرف له. وهو القائل لزوجته أم أيوب حين قالت له: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ أي في حديث الإفك. فقال لها: أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ فقالت: لا والله. فقال: والله لهي خير منك فأنزل الله ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنَّهُمْ خَبْرٌ﴾ (النور، الآية: ١٢). وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي أيوب ومصعب بن عمير رضي الله عنهما صاحب الفتح السلمي الكبير بالمدينة النبوية. وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور قسطنطينية، وكان في جيش يزيد بن معاوية واليه أوصى وهو الذي صلى عليه. وقد جاء في رواية: أغزى أبو أيوب، فمرض، فقال: إذا متُّ فاحملوني، فإذا صافقتكم العدو، فارموني تحت أقدامكم. أما إنني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ودفن أبو أيوب عند سور القسطنطينية، وقالت الروم لمن دفنه: يا معشر العرب قد كان لكم الليلة شأن. قالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبينا، والله لئن نبش، لأضرب بناقوس في بلاد العرب، وبعد مجيء الدولة العثمانية وفتح القسطنطينية أصبحت مكانة أبي أيوب الأنصاري عظيمة في الثقافة العثمانية، فقد درج السلاطين العثمانيون يوم يتربعون على الملك أن يقيموا حفلاً دينياً في مسجد أبي أيوب، حيث يتقلدون سيفاً للرمز إلى السلطة، التي أفضت إليهم وكان لأبي أيوب رضي الله عنه عند الترك خواصهم وعوامهم رتبة ولي الله الذي تهوي إليه القلوب المؤمنة وينظرون إليه كونه مضيف رسول الله، فقد أكرمه وأعانه وقت العسرة كما أنه له مكانة مرموقة بين المجاهدين واعتبروا ضيافته لرسول الله وجهاده في سبيل الله أعظم مناقبه وأظهر مآثره. وقد ترك أبو أيوب رضي الله عنه في وصيته **بأن يدفن في أقصى نقطة من أرض العدو** صورة رائعة تدل على تعلقه بالجهاد، فيكون بين صفوفهم حتى وهو في نعشه على أعناقهم وأراد أن يتوغل في أرض العدو حياً وميتاً، وكأنما لم يكفه ما حقق في حياته فتمنى مزيداً عليه بعد مماته، وهذا ما لا غاية بعده في مفهوم المجاهد الحق بالمعنى الأصح الأدق. ومن الغريب ما نراه في حياتنا من حرص بعض المسلمين إذا مات خارج بلده

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٤٦ - ٢٤٨.

أن يوصي أهله بإرجاعه ودفته في أرضه، والأرض أرض الله، والبلاد بلاد الله. وقد مدحه شعراء الأتراك في أشعارهم وهذا شيخ الإسلام، أسعد أفتدي يشير إشارة لامية إلى موقعه بقوله:

**شهد المشاهد جاهداً ومجاهداً**

**ومكابداً بحروبه ما كابدا**

**حتى أتى بصلابة ومهابة**

**في آخر الغزوات هذا المشهدا**

**قد مات مبطوناً غريباً غازياً**

**فعدا شهيداً قبل أن يستشهدا**

كان أبو أيوب رضي الله عنه عندما خرج في غزوة القسطنطينية قد تقدمت به السن وأصبح شيخاً كبيراً وكان يقول: قال الله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا خُفَاءً وَمَقَالًا... ﴾ (التوبة، الآية: ٤١) لأجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً، وكان أبو أيوب رضي الله عنه يعلم الناس الفهم الصحيح لآيات الله ومفاهيم الإسلام فعن أبي عمران التجيبي قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. يعني الجماعة الذين غزوا من المدينة. والروم ملصقو ظهورهم بحائط القسطنطينية، فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه، مه لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة: فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام، قلنا: هلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَسْعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة، الآية: ١٩٥) فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها ونُدع الجهاد قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية ( أستانبول اليوم ) .



مكان قبر أبي أيوب الأنصاري في أستانبول

الحصار الثاني للقسطنطينية في عهد معاوية<sup>(١)</sup>

لم يثن عدم تحقيق المسلمين لفتح المدينة في الحصار الأول ، أن يقوم معاوية رضي الله عنه في المضي قدماً في محاولاته لإعادة فتح القسطنطينية مرة ثانية، حيث أدرك في الوقت نفسه، أهمية السيطرة على الجزر القريبة منها كعامل مساعد. فبعد جزيرتي قبرص وكوس، فتح المسلمون جزيرة رودس في عام "٥٢هـ - ٦٧٢م" كما فتح أسطول إسلامي جزيرة خيوس، وسيطر المسلمون على أزير وليكيا وقيليقيا وبذلك كون معاوية قد أحكم الطوق البحري على العاصمة البيزنطية .

وفي عام "٥٤هـ - ٦٧٤م" **بدأ الحصار الثاني** للقسطنطينية واستدعى الأمر تعزيز القوة البحرية في مياهها، فانضم إليها أسطول إسلامي آخر بقيادة جنادة بن أبي أمية بعد أن فتح جزيرة أرواد القريبة منها حيث اتخذها المسلمون قاعدة انطلاق .

وتخلل الحصار مناوشات بين الأسطولين الإسلامي والبيزنطي ، في حين تراشقت القوات البرية الإسلامية المرابطة حول العاصمة، مع الجنود البيزنطيين المرابطين على أسوارها، بالقذائف والسهام، استمر هذا الوضع طيلة سبعة أعوام حتى عام "٦٠هـ - ٦٨٠م" اقتصرت العمليات العسكرية على فترتي الربيع والصيف لصعوبة القتال في الشتاء .

وصمدت المدينة أمام الحصار، فلم يحرز المسلمون انتصارات حاسمة بفعل أن جهودهم تركزت على محاصرة المدينة من جهة البحر. أما الحصار البري فكان مزعزماً حيث ظلت الطرق البرية وطريق البحر الأسود مفتوحة أمام البيزنطيين مما جعل منها متنفساً وطريقاً للإمدادات والمؤن، وهذا خطأ إستراتيجي ترتبت عليه عدة نتائج بالغة الأهمية، إذ توقف زحف المسلمين إلى أوروبا من جهة الشرق بالإضافة إلى أنه عزز مركز الإمبراطورية البيزنطية.

والواقع أنه تضافرت عدة عوامل جعلت المسلمين يفكرون الحصار عن القسطنطينية لعل أبرزها:

- مناعة أسوار المدينة.
- رداءة الطقس وقسوته.
- التيارات المائية الشديدة الانحدار التي كانت تبعد عن الأسوار.
- عدم إحكام الحصار البري.
- استعمال النار الإغريقية من قبل البيزنطيين.
- عوامل داخلية تتعلق بكل من الدولتين الإسلامية والبيزنطية. ففيما يتعلق بالدولة الإسلامية ، نرى أن معاوية وجد نفسه بحاجة إلى هدنة طويلة مع البيزنطيين، بعد أن أدرك أن مدة الحصار قد طالت دون أن يتحقق



الهدف، ورأى بعد أن أحس بدنو أجله، أن من مصلحة المسلمين أن يعود هذا الجيش الضخم المرابط حول العاصمة البيزنطية إلى دمشق تحسباً لأية مشكلات قد تواجه الدولة الأموية بعد وفاته. أما فيما يتعلق بالبيزنطيين، فقد كانت الدولة البيزنطية تواقفة إلى إنهاء هذا الحصار عن عاصمتها بعد أن أرهقتها وأنهاك قواها.

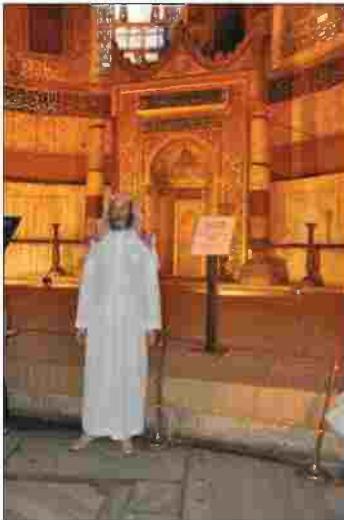
ونتيجة للمفاوضات التي جرت بين الطرفين تم الاتفاق على ما يلي :  
 - يدفع معاوية جزية سنوية للبيزنطيين مقدارها ثلاثة آلاف قطعة ذهبية، بالإضافة إلى خمسين أسيراً، وخمسين حصاناً.  
 - تستمر الهدنة ثلاثين عاماً.



موقع القسطنطينية وأهم التحصينات الدفاعية فيها



**آيا صوفيا**، كاتدرائية سابقة بنيت على أنقاض كنيسة قديمة، أقامها الإمبراطور قسطنطين الكبير، وانتهت في عام ٣٦٠م، في عهد الإمبراطور قسطنطينوس الثاني، ثم أصبحت مسجداً في العهد العثماني، وحالياً متحفاً يقع بمدينة أسطنبول بتركيا. ويعد البناء من أبرز الأمثلة على العمارة البيزنطية، والزخرفة العثمانية.



للؤلؤ أمام محراب الصلاة حينما كان مسجداً



الإمبراطور أيوانس كومنينوس الثاني والإمبراطورة ايرينة والكسيوس وهي الوسط رسم تخلي للعتراء وابتها داخل آيا صوفيا

## ثانياً : الجراجمة في عهد معاوية

## أصل الجراجمة

ظهر اسم الجراجمة بين القرنين الثاني والثالث الميلادي بشكلٍ ومضاتٍ قاوموا الحكم الأموي فترة من الزمن استغلاً للظروف الداخلية التي مرت بها الدولة الأموية في فترة حروبه مع الخوارج ومع ابن الزبير. انتسبوا لـ "جرجوما" المدينة في جبل أمانوس، الواقعة بين سوريا وتركيا. وقال المؤرخ البيزنطي ثيوفانوس (٨١٧-٨٥٠ م) عنهم: "كانوا متركزين في لبنان سنة ٦٦٩ م، إثر المارك، وهي مئة وجيزة، غدوا الألفاً عذة. واحتلوا ما بين جبل أمانوس، والمدينة المقدسة، وأورشليم. وكانوا يُشكّلون جداراً من النحاس، ضد الغزو الإسلامي، ويُلقون الرعب ما بين الأمانوس وأورشليم". كما نسبهم الأصفهاني إلى قوم من الفرس نزحوا غرباً واستوطنوا منطقة جرجومة. أما انتساب الكرملي فوصفهم بتجمع عسكري وليس بقوم أو مرتبطين بدين. وهو رأي قوي؛ بأنهم تجمع عسكري وليسوا قوماً ولا مرتبطين بدين أو قوم لعدة أسباب أهمها :

**أولاً-** نسبهم إلى جرجوما وهي مدينة، فلو كانوا قوماً لتسبوا إلى قومهم.

**ثانياً -** قول المؤرخ البيزنطي ثيوفانوس : « وفي مئة وجيزة، غدوا الألفاً عذة. واحتلوا ما بين جبل أمانوس، والمدينة المقدسة، وأورشليم، إذ لو كانوا قوماً لتزايدوا تزايداً طهيماً وكونهم تجمعاً عسكرياً تزايدوا حتى غدوا الألفاً في مدة وجيزة حسب قوله.

**ثالثاً-** قول البلاذري في الفتوح « واستحوذوا على قمم لبنان وانضم إليهم كثيرون، إذا كان اضمم الكثيرين لهذا التجمع الذي عرف بحركة الجراجمة.

قال بعض المؤرخين إنهم كانوا يدينون بالمجوسية ثم تنصروا وصارت مواضعهم بالأديار والمناسك والصوامع، حتى نُعيت طور عابدين أي جبل القباد والقديسين.

في أثناء الحروب والغارات بين المسلمين والبيزنطيين، في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كان هناك طرف ثالث يشارك في النزاع القائم بينهما، يطلقون على أنفسهم اسم « الجراجمة » نسبة إلى مدينة « الجرجومة <sup>(١)</sup> »، وأصولهم غير معروفة، ويشير البلاذري إلى أنهم كانوا يدينون بالنصرانية وأنهم كانوا لذلك يتبعون « بطريق أنطاكية وواليها ». وعندما فتح المسلمون بلاد الشام أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح حبيب بن مسلمة الفهري: فغزا الجرجومة فلم يقاتلوا أهلها ولكنهم بادروا بطلب الأمان والصلح، فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام، وأن لا يؤخذوا بالجزية، وأن يُنقلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا حرباً معهم في مغازيهم. ولكن الجراجمة لم يلبثوا أن نقضوا اتفاقهم هذا، وصنعوا حاجزاً بين المسلمين والبيزنطيين واستطاعوا عرقلة سير الفتوحات الإسلامية في آسيا الصغرى، فكانوا متذبذبين مرة مع المسلمين وأخرى مع الروم وقد بقيت شوكة في ظهر الجيوش الإسلامية ليس في عهد معاوية لكن حتى عهد عبد الملك، ثم ما لبثت أن تفرقت في بلاد الشام وآسيا الصغرى، فخف خطرهما. ومهما يكن، فلا بد من القول بأن الإنشاءات والمجهودات التي قام بها معاوية رضي الله عنه في سبيل الوصول إلى القسطنطينية وإن كانت لم تثمر خلال حياته إلا أنها لعبت دوراً أساسياً في حفز من جاؤوا بعده من الخلفاء لأن يكملوا المسيرة التي بدأها .

١ - الجراجمة قوم من النصارى كانوا يمشون في الجرجومة، مدينة على جبل اللكام (الأمانوس) بالشر الشامي فيما بين بيّاس وبوقة قرب أنطاكية، ويطلق المؤرخون البيزنطيون عليهم اسم المردة (Maradaites) وكانوا تابعين لبطريرك أنطاكية وواليها قبل الفتح الإسلامي.



## ثالثاً : فتوحات الشمال الإفريقي في عهد معاوية

قبل أن نتحدث عن فتوح المسلمين لشمال إفريقيا لابد لنا من تحديد المناطق الجغرافية التي حدثت فيها الأحداث. وتنقسم إلى أربعة أقسام<sup>(١)</sup> :

- ١- برقة وطرابلس.
  - ٢- إقليم إفريقية: يقابل تقريباً تونس الحالية، ويعرف بالمغرب الأدنى .
  - ٣- المغرب الأوسط: يقابل ما يعرف اليوم بالجزائر .
  - ٤- المغرب الأقصى : يقابل ما يعرف اليوم بالمملكة المغربية .
- مرت فتوح شمالي إفريقيا بسبع مراحل، استكملت خلالها عملية الفتح وانتهت في أيام عبد الملك بن مروان .

تعتبر المرحلة الأولى من فتوح المسلمين لشمال إفريقيا، وهي فتح برقة، استكمالاً لفتح مصر. وقد تمت على يد القائد عمرو بن العاص في عام (٢٢هـ/٦٤٣م) كما فتح عمرو طرابلس الغرب وصبراتا وأتم فتح فزان الليبية ( انظر كتابنا الموسوم « أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين » .

وجاءت الخطوة التالية على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح في عام (٢٧هـ/٦٤٨م) ففتح سببلة وبيت جنوده في البلاد فبلغ ققصة وفتح حصن الأجم ( الجم )، وجنوبي القيروان .

وشغل المسلمون، بعد ذلك بمشكلاتهم الداخلية، فتوقفت حركة الفتح مؤقتاً. وعندما استقر الأمر لمعاوية استأنف النشاط الجهادي، فأرسل في عامي (٤١ - ٤٥ هـ / ٦٦٠ - ٦٦٥ م)، حملتين بقيادة معاوية بن حديج الكندي الخولاني، وأمر القيام بغارات على المنطقة الواقعة غربي طرابلس. وانتهى هذا القائد إلى سهل قمونية إلى الجنوب من قرطاجنة ( انظر الخارطة الخاصة بذلك في الصفحة المقابلة ).

في هذه الأثناء، أقام القائد البيزنطي نففور معسكره في مدينة **سوسة** الساحلية، مما جعل أمر الصدام بين الطرفين حتمياً. وفعلاً دارت بينهما مناوشات طفيفة انسحب على إثرها نففور من المنطقة، في حين لم يستثمر ابن حديج انتصاره بتركيز أقدام المسلمين فيها على الرغم من أنه فتح سوسة وجولاء<sup>(٢)</sup>، لكن رويغ ابن ثابت الأنصاري استطاع أن يرسخ موطن قدم للمسلمين بعد أن أصبح والياً على طرابلس الغرب ومن ثم قيامه بفتح بنزرت وجزيرة جربة.

١- د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٥ .

٢- هنالك مدينتان تحصلان هذا الاسم، إحداهما بنارس، بينها وبين خانتين سبعة فراسخ، وهي على طريق خراسان، وبها كانت الواقعة المشهورة بين المسلمين والفرس سنة ١٦هـ، وهذه التي بإفريقيا بينها وبين القيروان أربعة وعشرون مهلاً. باقوت الحموي معجم البلدان (١٥٦/٢) .



## إفريقيا



٤٠٠ ٨٠٠ كم

٦ - أغزى معاوية بن حديج جيشاً في البحر ٤ إلى **سقلية** في مائتي مركب، فسبوا وغنموا وأقاموا شهراً، ثم انصرفوا إلى إفريقية بفنائم كثيرة، وبعد هذه الفتوح عاد معاوية بن حديج إلى مصر دون أن يترك قائداً أو عاملاً .

- ١ - معاوية بن أبي سفيان يرسل معاوية بن حديج ١ على رأس حملة إلى إفريقية «تونس» في أول سنة من حكمه سنة ٤١ هـ .
- ٢ - معاوية بن أبي سفيان يرسل مرة ثانية سنة ٤٥ هـ معاوية بن حديج على رأس حملة من عشرة آلاف مقاتل، ٢ هضم حتى نخل إفريقية «تونس» وكان معه عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الملك ابن مروان، ويعبى بن الحكم بن العاص، وغيرهم من أشراف قريش.
- ٣ - الإمبراطور البيزنطي ٣ يبعث إلى إفريقية بطريقاً يقال له: تقفور في ثلاثين ألف مقاتل، تنزل الساحل.
- ٤ - معاوية بن حديج يبعث عبد الله بن الزبير في خيل كثيفة، فسار حتى نزل على شرف عال ينظر منه إلى البحر بينه وبين مدينة **سوسة**، اثنا عشر ميلاً، فلما بلغ ذلك تقفور ألق من في البحر منهزماً من غير قتال .
- ٥ - أرسل ابن حديج **عبد الملك بن مروان** في ألف فارس إلى مدينة جلولاء فحاصرها وقتل من أهلها عدداً كثيراً حتى فتحها عنوة.

**معاوية بن حديج الكندي** له صحبة ورواية قليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كان في شيء شفاء فشربة عسل أو شرطة معجم، أو كية نار، وما أحب أن أكتوي، وكان رضي الله عنه ملكاً مطاعاً من أشراف كندة، وكان من خيرة الأمراء، فعن عبد الرحمن بن شماسه قال: دخلت على عائشة، فقالت: ممن أنت؟ قلت من أهل مصر، قالت: كيف وجدتم ابن حديج في غزاتكم هذه؟ قلت: خير أمير، ما يقف لرجل منا فارس ولا بعير إلا أبدل مكانه بعيراً، ولا غلاماً إلا أبدل مكانه غلاماً. قالت: إنه لا يمنني قتله أخي أن أحدثكم ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به، ومن شق عليهم فأشقق عليه، وبعد أن استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كانت جبهة شمال إفريقيا، من أولى الجبهات التي وجه إليها اهتمامه، لأنها تتاخم حدود مصر الغربية من ناحية ومن ناحية أخرى فهي تخضع لنفوذ الدولة البيزنطية. د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٣٦ .



بعد فتوح معاوية بن حديج عاد إلى مصر دون أن يترك قائداً أو عاملاً، ويفهم من هذا التصرف ومن سلوك معاوية بن حديج في أثناء هذه الغزوة أن البربر أهل البلاد كانوا قد أصبحوا حلفاء للمسلمين على الروم، وأن المسلمين كانوا يكتفون إلى ذلك الحين بإبعاد الخطر الرومي من هذه الناحية وعندما استعاد معاوية بن حديج **طرابلس الغرب** ترك فيها **رويغ بن ثابت الأنصاري** والياً عليها سنة ٤٦ هـ فغزا منها إفريقية «تونس» ودخلها سنة ٤٧ هـ، وفتح جزيرة **جربة** التي كان يسكنها البربر، وقد تحدثت المراجع عن كثرة السبايا في هذه الغزوة، وقام رويغ بن ثابت الأنصاري بتذكير المسلمين في هذه الغزوة بأحكام وطء السبايا، حيث قال: أما إنني لا أقول لكم إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم حنين: لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغانماً حتى يقسم. وقد بقي في ولاية طرابلس الغرب، ثم ولاة مسلمة بن مخلد ولاية مصر وبرقة، وبقي عليها أميراً ومات بها سنة ٥٦ هـ وقبره معروف في الجبل الأخضر ببرقة في مدينة البيضاء وهو آخر من توفي من الصحابة هناك، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أحاديث، وكان فقيهاً من أصحاب الفتيا من الصحابة وكان خطيباً مفوهاً.

**رويغ بن ثابت الأنصاري الخزرجي** صحابي من بني مالك بن النجار، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، كما شهد فتوح الشام.

تولى في عهد معاوية بن أبي سفيان أمر طرابلس الغرب سنة ٤٦ هـ ومنها غزا إفريقية سنة ٤٧ هـ، ففتح **جربة** وبنزرت ووصل إلى موقع القيروان حيث أسس مسجداً عرف بعد تأسيس القيروان باسم «مسجد الأنصار» أو «مسجد سيدي رويغ»، ثم انتقل إلى برقة في مدينة البيضاء شرقي ليبيا وبقي بها إلى أن مات سنة ٥٦ هـ، ودفن في مدينة البيضاء وأقيم في مدينة البيضاء ضريح له ومسجد سمي (سيدي رويغ) وهو من أشهر المعالم الدينية في المدينة.



ترك الإسلام لأصحاب الديانات الأخرى حرية ممارستهم الدينية في كل البلاد المفتوحة، ومن خلال هذه الصورة المأخوذة من كتابات كتبة إفريقية في جزيرة جربة التونسية خير شاهد على عدالة الفاتحين وسمو الإسلام، وقيل قيمه وتعامله مع الأديان الأخرى باحترام متبادل وفق ضوابط الكتاب والسنة .



أراد الخليفة معاوية رضي الله عنه إعطاء حركة الفتوح دافعاً تصعيدياً، وقد تمثل ذلك بفصل برقة وطرابلس الغرب عن مصر في عام (٤٩هـ/٦٦٩م) على الأرجح، وولّى عليها عقبة بن نافع الفهري الذي سطر التاريخ أعماله الباهرة .

وبتولية عقبة، تبدأ **المرحلة الثانية** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا، وهي مرحلة مهمة لأن القائد سينفذ إستراتيجية جديدة سوف تؤمن الاستقرار للمسلمين في المنطقة، ليصبح المغرب جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي<sup>(١)</sup> .

بدأ عقبة نشاطه بفتح عدد من المواقع الإستراتيجية، في المغرب الأدنى منفذاً خطة محكمة تقضي بتشكيل حاميات عسكرية في المدن والمواقع، التي يتم فتحها بهدف الاحتفاظ بمكتسبات الفتح، مثل ودان وفزان وخاور وغدامس<sup>(٢)</sup> .

لقد أدرك معاوية من خلال تجربته السابقة، أن أهل شمالي إفريقيا يدخلون في طاعة المسلمين طالما بقي هؤلاء في بلادهم، فإذا ما انصرفوا عنهم ارتدوا عن الإسلام وشقوا عصا الطاعة. وكانت **برقة وزويلة** قاعدتا الفتح الإسلامي لشمالي إفريقيا متطرفتين مما يساعد أهل المغرب الخروج على المسلمين في كل مرة ينتهون فيها من غزوهم لها، فرأى أن ينشئ قاعدة إسلامية في شمالي إفريقيا تكون مركزاً لحكم إقليمي ثابت الدعائم، منها تخرج الجيوش الإسلامية للفتح والاستقرار في المناطق المجاورة لها؛ فضلاً عن تأمين الخطوط الدفاعية الضرورية للمسلمين في هذه المنطقة، بالإضافة إلى هدف عقائدي في أن تكون منطلق الدعوة الإسلامية بين البربر سكان شمالي إفريقيا الأصليين .

فاختط مدينة **القيروان** في عام (٥٠هـ/٦٧٠م) في منطقة صحراوية تقع إلى الجنوب من قرطاجنة . ويتميز موقعها الجغرافي بأنه يقيها التعرض لغزوات البيزنطيين البحرية، ويتوافر فيها طيب المراعي. وجاء تأسيسها دليلاً على الإصرار على مواصلة الفتح الإسلامي العظيم.

وقامت هذه المدينة بدور كبير في فتح شمالي إفريقيا كلها، والانطلاق إلى فتح بلاد الأندلس، إضافة إلى نشر الدين الإسلامي في المغرب بالحكمة والموعظة الحسنة، وأضحت القيروان من أهم مراكز الحضارة الإسلامية .

ويبدو أن سياسة عقبة بن نافع التي انتهجها مع البربر قد اتسمت بالشدّة، مما جعل الأمن متعزراً، وأدى بهؤلاء إلى التحالف مع البيزنطيين. وقد أدرك معاوية بحكمته وحنكته خطر هذه السياسة، فعزل عقبة في عام (٥٥هـ/٦٧٥م)، وولّى مكانه أبا المهاجر دينار الأنصاري - كما سيتضح لنا إن شاء الله في الصفحات القادمة - .

١- د. محمد طغوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٦ .

٢- ابن عبد الحكم، فتوح مصر وإفريقيا، ص ٣٦٤ .



## عقبه بن نافع النهري وبناء مدينة القيروان

لم يكن عقبه بن نافع قائداً عسكرياً محضاً فقط، بل كان صاحب عقلية مبدعة وفكر إستراتيجي فذ، وهو يصح أن يطلق عليه خير بشئون المغرب والشمال الإفريقي، ومن خلال حملاته الجهادية المستمرة على الشمال الإفريقي، أدرك أهمية بناء مدينة إسلامية في هذه البقاع وذلك لعدة أسباب من أهمها :-

١. تثبيت أقدام المسلمين والدعوة الإسلامية هناك وذلك أن عقبه قد لاحظ أمراً هاماً أن أهل الشمال الإفريقي إذا جاءهم المسلمون يظهرون الإسلام وإذا انصرفوا عنهم رجعوا مرة أخرى إلى الكفر، فكان بناء مدينة إسلامية خير علاج لهذه الظاهرة الناجمة عن غياب قاعدة إسلامية ثابتة للإسلام لنشر الهدى والنور وسط أفراد المجتمع.

٢. ضرورة تكوين قاعدة حربية ثابتة في مواجهة التهديدات البيزنطية المتوقعة بعد فتح الشمال الإفريقي .

٣. أن تكون هذه المدينة دار عزة ومنعة للمسلمين الفاتحين، ذلك لأنهم تفرقوا في البلاد كحاميات على المدن المفتوحة، وهذا التفرق قد يورث الضعف والوهن مع مرور الوقت خاصة لو داهم عدو كبير العدد هذه البلاد.

لهذه الأسباب وغيرها قرر عقبه بن نافع بناء مدينة القيروان في القرن الشمالي لإفريقية في مكان تتوافر فيه شروط الأمن الدعوي والحركي للمسلمين بحيث تكون دار عزة ومنعة وقاعدة حربية أمامية في القتال، ومنارة دعوية علمية لنشر الإسلام، وانطبقت كل الشروط المطلوب توافرها في منطقة أحراش مليئة بالوحوش والحيات، فقال له رجاله: "إنك أمرتنا بالبناء في شعاب وغياض لا ترام، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك من دواب الأرض"، وكان في عسكره خمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم وقال: "إني داع فأمتوا"، وبالفعل دعا الله عز وجل طويلاً والصحابة والناس يأمنون، ثم قال عقبه مخاطباً سكان الوادي: "أيتها الحيات والسباع، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتحلوا عنا فإننا نازلون، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه".

وكان عقبه بن نافع مجاب الدعوة، وقد رأى قبيل من البربر كيف أن الدواب تحمل أولادها وتنقل، فأسلموا ثم شرع الناس في قطع الأشجار وأمر عقبه ببناء المدينة فبنيت وبني المسجد الجامع، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وتم أمرها سنة ٥٥هـ وسكنها الناس، وكان في أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا، فتغير على العدو ودخل كثير من البربر الإسلام، واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها .



يعتبر **الأمازيغ** هم أول من سكن البلاد؛ لكن المحطة الأبرز في تاريخ تونس القديم تتمثل في وفود الفينيقيين من لبنان والذين قاموا بتأسيس قرطاج في القرن التاسع قبل الميلاد. لكن سرعان ما سيطر الرومان على شمال إفريقيا حتى القرن الخامس الميلادي والذي شهد سقوط إمبراطورية روما، بعدها قدم إلى تونس مجموعات عرقية أوروبية أهمها الوندال. وفي القرن الثامن الميلادي **فتح العرب المسلمون** البلاد ثم تلى ذلك مجيء عدد كبير من العائلات والقبائل العربية لتأخذ تركيبة البلاد شكلها الحالي. شهدت البلاد أيضاً وفود آلاف الأندلسيين الذين التجأوا إليها بعد طردهم من قبل النصارى كما عرفت ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي استيطان عدد كبير من العائلات التركية. ومعظم التونسيين اليوم (٩٩٪) مسلمين سنة على مذهب الإمام مالك رحمه الله، مع وجود ٢٠٠٠ يهودي في جزيرة جربة التونسية حسب مصادر تونسية و ١٥٠٠ حسب مصادر يهودية، ويهود تونس العاصمة قدموا من إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد بعد اضطهادهم من قبل الإسبان. لكن يهود جربة قدموا من المشرق العربي بعد حرق معبدهم من قبل نبوخذنصر، سنة ٥٨٧ ق. م، ويوجد حوالي ٥٠٠٠٠ نصراني معظمهم من فرنسيي تونس، أو توائسة من أصول إيطالية ومالطية ولا توجد أي أرقام رسمية لتوائسة منتصرة.



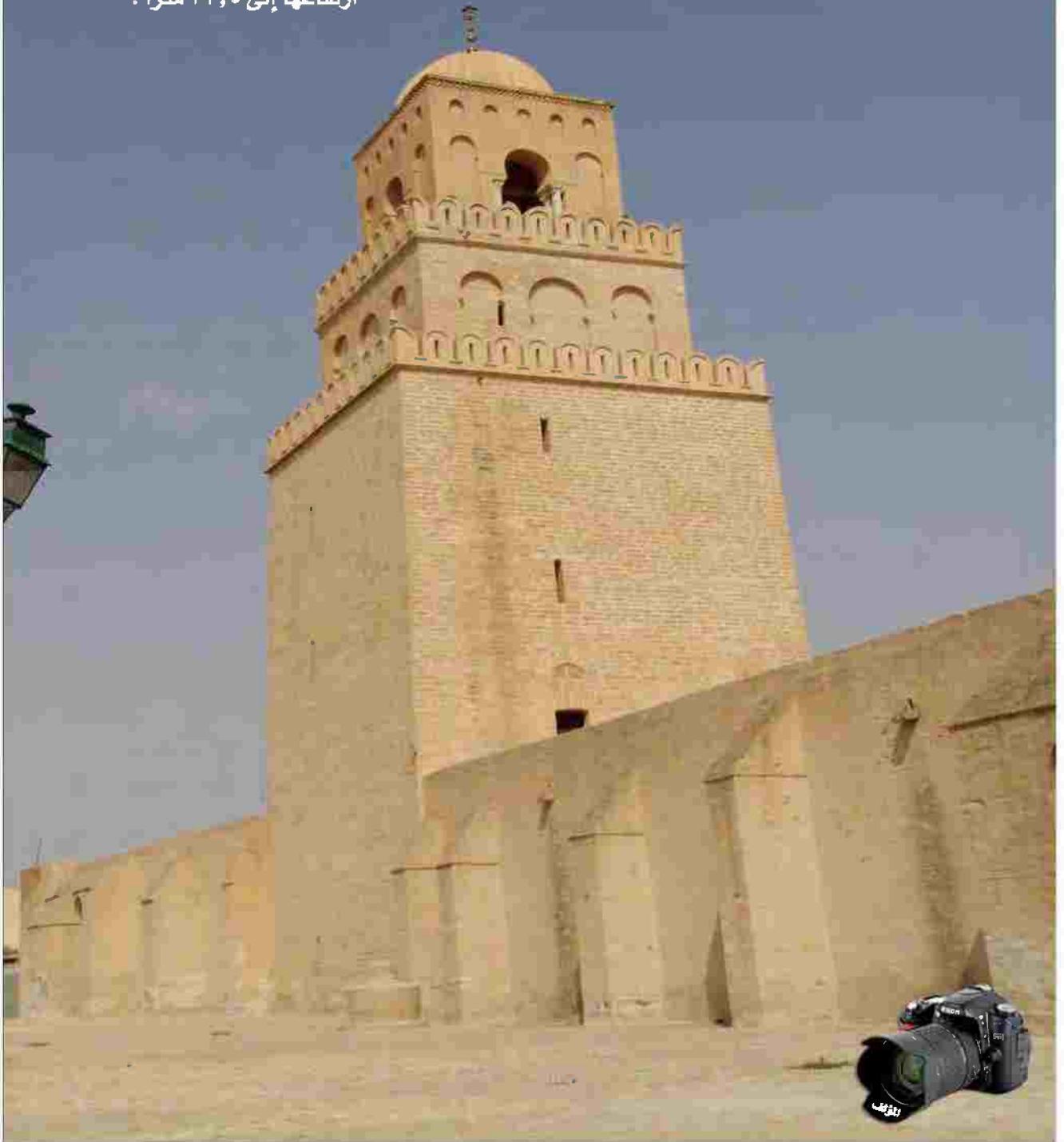
أحد أسوار مدينة القيروان التاريخية والتي بناها عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ

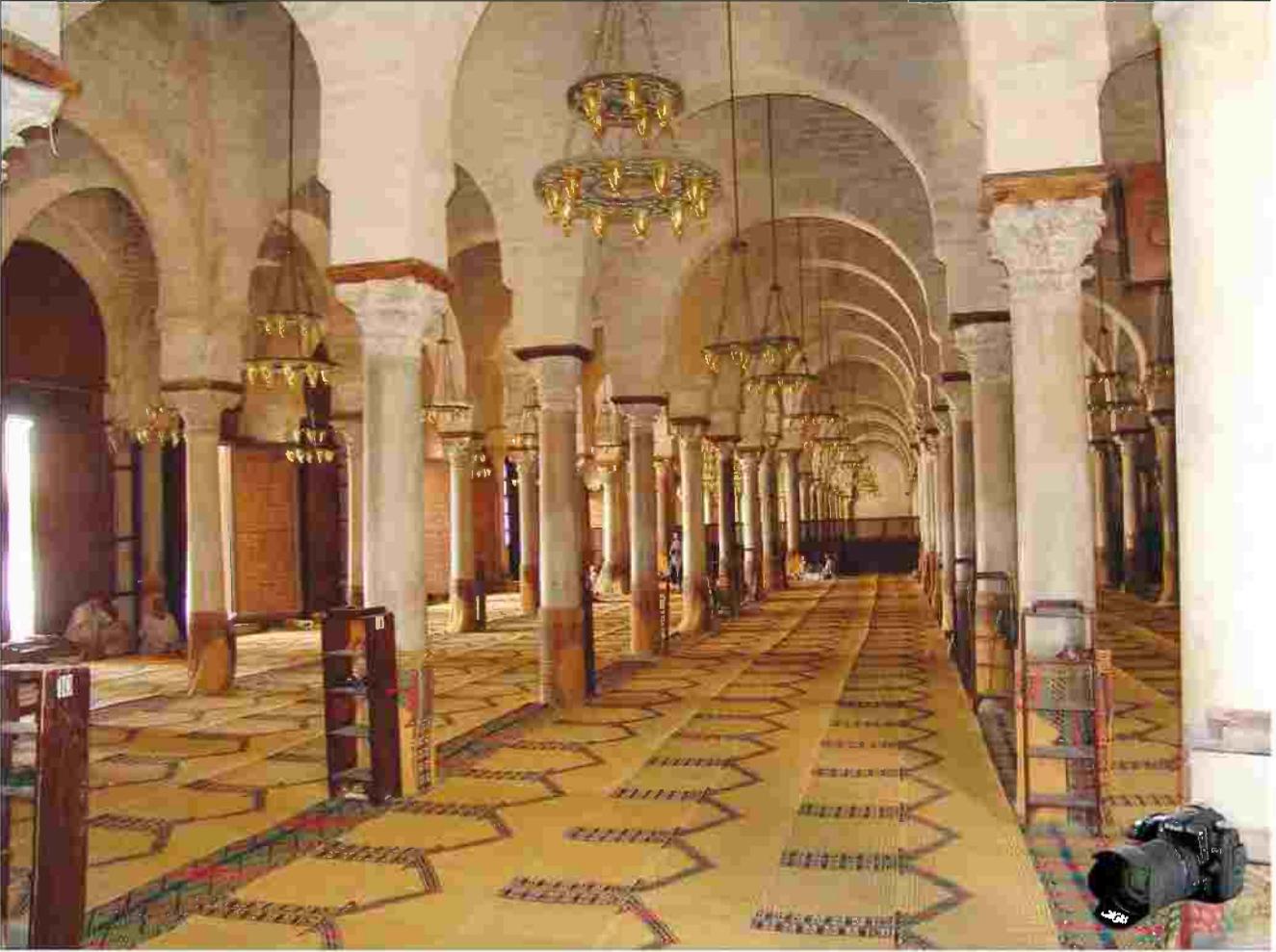
استمر بناء مدينة القيروان في تونس الخضراء قرابة الخمس سنوات، حتى أصبحت القيروان درة المغرب، بعد ما شيد فيها **عقبة** جامعاً كبيراً أصبح منارة للعلم والفكر والأدب، يقصده العلماء من كل مكان، وأضحى ملتقى للدعاة والعلماء والمجاهدين، وهو أول جامعة إسلامية على مستوى العالم آنذاك.



أحد مداخل المدينة القديمة

مئذنة جامع عقبة بن نافع تعد من  
أقدم المآذن في العالم الإسلامي وهي  
تكون من ثلاث طبقات ويصل  
ارتفاعها إلى ٣١,٥ متراً .





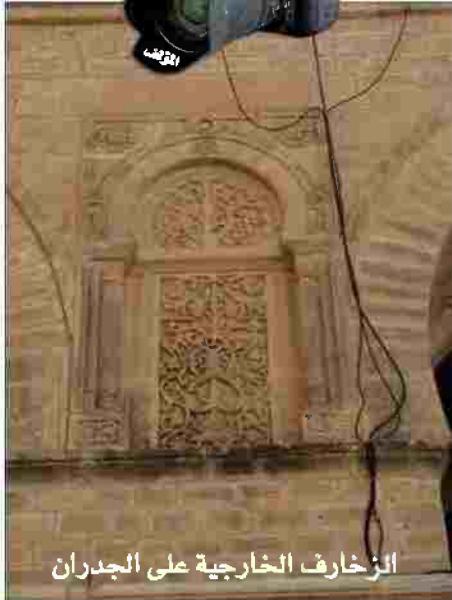
**أعمدة بيت الصلاة فرشّت أرضيته بالحصير، وحينما صليت فيه شعرت بأنني في القرن الأول الهجري**

يشغل جامع القيروان مساحة مستطيلة غير منتظمة الاستطالة، وتسند جدرانها الخارجية مساند مختلفة الحجم والشكل وتعلو سقفه من الخارج خمس قباب، وللمسجد ١١ باباً للدخول، يعلو الباب الشرقي قبة ويُعرف هذا الباب باسم (الله رجانا) وتُشاهد كذلك ثلاثة أبواب أخرى في نفس الجانب ويعلو الباب المسمى بـ (باب السلطان) قبة أخرى.

ويتقدّم الأبواب التي في الجهة الشمالية بهو، ويتكوّن رواق المسجد من ١٧ طارمة تفصلها بائكات (البائكة عمود في قمته تاج وقوس)، وللمسجد محراب على شكل تجويف داخل الجدار يشبه حدوة الفرس ويكتنفه عمودان تيجانها على الطراز البيزنطي، في طاقية المحراب زخارف ملونة باللون الأخضر ومنبر المسجد خشبي نفيس، وقبة المسجد مضلعة الشكل يبلغ قطرها ٨٠/٥م والمنارة مكوّنة من ثلاث طبقات مربعة الشكل تعلوها قبة صغيرة.



القبة التي تملو باب البهو المؤدي إلى بيت الصلاة



الزخارف الخارجية على الجدران

ورث جامع القيروان الكبير موضع المصلى الإسلامي الأول في بلاد المغرب، والذي شيده في عام ٥٠ هـ / ٦٧٠ م عقبه بن نافع. وبعد إعادة تجديده التي قادها الحسن بن النعمان في عام ٨٤ هـ / ٧٠٣ م، جرى توسيعه إبان حكم الوالي الأموي، بشر ابن صفوان (١٠٣ - ١٠٩ هـ / ٧٢٢ - ٧٢٨ م). وحصل تجديد آخر له خلال حكم يزيد بن هيثم في عام ١٥٥ هـ / ٧٧٣ م. وقد أعيد بناء الجامع بشكل كلي برعاية الأمير الأغلبي، زيادة الله، في عام ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م، ليتخذ المسجد حينها أبعاده الحالية.

وبعزل عقبة بن نافع الفهري من قبل والي مصر الجديد **مسلمة بن مخلد**، وتعيين **أبي المهاجر دينار** تبدأ **المرحلة الثالثة** من مراحل فتوح شمالي إفريقيا، وقد اتسمت بمنهجية أكثر اعتدالاً في التعامل مع البربر مما مهد الطريق لتغلغل الدين الإسلامي بين السكان.

وأدرك أبو المهاجر الدور البيزنطي في تأليب البربر ضد المسلمين، فقرر أن يضع حداً لهذا الدور. وتتضح هذه السياسة عندما نلاحظ أن حملاته توجهت كلها **ضد الوجود البيزنطي في منطقة الساحل**، خاصة عاصمتهم **قرطاجنة**، فهاجمهم وأجبر أهلها على طلب الصلح، وفتح جزيرة شريك الإستراتيجية القريبة منها، واتخذها قاعدة عسكرية ليراقب تحركات البيزنطيين، وبذلك حقق أول نصر عسكري وسياسي عليهم. ثم حدث أن تابع أبو المهاجر حملاته ضد الوجود البيزنطي، ففتح **ميلة** التي تتوسط المغربين الأدنى والأوسط، واستقر بها ومنها أخذ يبث الدعوة الدينية بين البربر في المغرب الأدنى الذين تقبلوها ودخلوا في الإسلام<sup>(١)</sup>.

وبعد أن اطمأن أبو المهاجر على أوضاع **المغرب الأدنى**، استأنف حركة الجهاد لفتح **المغرب الأوسط**، وقد جمعت **البربر البيزنطيين** في هذا الإقليم **مصلحة مشتركة** تتمثل بوقف التقدم الإسلامي، ثم طرد المسلمين من المغرب الأدنى.

كانت قبيلة أوروبا البربرية تتزعم المغربين الأوسط والأقصى بقيادة زعيمها **كسيلة بن نزم** الذي أدرك مدى ما يشكله المسلمون على وطنه ودينه النصراني من خطر، لذلك قام ليواجههم بشراسة. ولدرء هذا الخطر الداهم جمع كسيلة جيشاً كثيفاً، وعسكر في تلمسان بانتظار الصدام المرتقب مع أبي المهاجر. وفعلاً التقى الجمعان، ودارت بينهما رحى معركة عنيفة اعتبرها كل طرف معركة مصير انتهت بانتصار المسلمين، وتمزق جيش كسيلة، وتشتت في الصحراء وأسِر كسيلة فحمل إلى أبي المهاجر الذي عامله معاملة طيبة حيث طمع في إسلامه؛ لأنه لو أسلم فسيكون إسلامه سبباً في إسلام قومه بفضل مكانته الكبيرة بينهم. وفعلاً دخل كسيلة وقومه في الإسلام واستخدمهم أبو المهاجر في فتح **تلمسان**.

وعاد أبو المهاجر إلى **القيروان** بعد أن اطمأن على أوضاع المغرب الأوسط وإلى إسلام البربر، حيث راح يراقب تحركات **البيزنطيين** ونشاطهم، ويعمل على إزالة نفوذهم في الشمال الإفريقي. لكن لم يطل به المقام، فقد توفي موله **مسلمة بن مخلد**، والي مصر، في عام (٦٢٢هـ/٦٨٢م) وكان سنداً قوياً له بعد الله. فأعاد **يزيد بن معاوية عقبة بن نافع** إلى إفريقيا للمرة الثانية، وعزل أبا المهاجر. فابتدأت بذلك مرحلة أخرى من مراحل فتوح شمالي إفريقيا هي **المرحلة الرابعة**<sup>(٢)</sup>.

١- د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٨.

٢- د. محمد طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٨.





أطلال كنيسة سبتاس البيزنطية بالحي القرطاجي ببيرسا التونسية



عملات بونبة قرطاجية سككت على النمط الإفريقي.

أواني فخارية عليها رسومات ملونة تعود إلى العهد القرطاجي



مخلفات فخارية تعود إلى كنيسة سبتاس بالحي القرطاجي ببيرسا

التصاميم هي: الأستاذة بوسمة الخليل



كنيسة سبيطلة تم تحصين بعض جدرانها في أواخر الفترة البيزنطية ( القرن السابع الميلادي ) ويرى مؤلف ومصمم الأطلس في الصورة المصغرة

تعد سبيطلة أهم مدينة أثرية تونسية واشتهرت بمعايها الوثنية الثلاثة فينوس، وجوبيتر، وجينون. وقوس نصرها البارز عند مدخل المدينة. وتتميز وتنفرد بقنطرتها الرومانية والمسرح الدائري وروائع الفسيفساء وامتزجات أثرية. كانت سبيطلة عاصمة دولة أمازيغية كاثوليكية تابعة لروما ثم القسطنطينية.



معبد الثالوث المقدس عند الرومان فينوس، وجوبيتر، جينون.



**غزو المسلمين لقرطاجنة « معقل الروم » وضم جزيرة شريك على يد أبي المهاجر دينار**

كان الروم البيزنطيون على الرغم من الهزائم التي حلت بهم في وسط إقليم إفريقية « تونس » وجنوبه، لازالوا قوة في الشمال، ولا زالت عاصمتهم **قرطاجنة** عذراء لم يقصدها أحد من الفاتحين الأولين، ثم إنهم لازالوا قوة في ساحل المغرب من **بنزرت** إلى **طنجة**، فكان على أبي المهاجر أن يضرب الروم ضربة قوية ليضعف نفوذهم في تلك النواحي، ويكسر الحلف الذي عقده مع البربر، فسار إلى قرطاجنة ونازلها، فاستقلت وتحصنت بالأسوار العالية، فشدد أبو المهاجر الحصار عليها فلم يفلح الروم أنه لا قبل لهم بالجيش الإسلامي، وأن أبا المهاجر لا بد أن ينتصر عليهم، فدخل العاصمة باقتداره وقوته، فطلبوا الصلح فصالحهم بإخلاء جزيرة شريك، لتتزل فيها جنوده، وكان أبو المهاجر يهدف من احتلال جزيرة شريك، القريبة من قرطاجنة، أن يراقب الروم وتحركاتهم، وترك فيها حامية من الجيش جعل على رأسها قائده حنش الصنعاني ليصد الروم إذا حاولوا مهاجمة المسلمين أثناء غزوهم للبلاد. رفع أبو المهاجر الحصار عن قرطاجنة بعد أن انتزع من الروم جزيرة شريك، ذلك الموقع الاستراتيجي الهام، وترك فيها حامية تؤمن ظهر المسلمين، وتراقب تحركات الروم، ثم اتجه بعد ذلك مسائراً الساحل ناحية الغرب . د . علي الصلابي، الدولة الأموية ، ص ٦٦ .

## فتوحات أبي المهاجر دينار سنة ٥٥ - ٦٦ هـ



## إفريقيا

عاد أبو المهاجر دينار بعد انتصاره على البربر ومن ثم إسلام زعيمهم كسيلة بن لمزم حيث اطمأن إلى أمور المغرب الأوسط وإلى إسلام البربر وأصبح مقره قريباً من القيروان، وأقام بقرية تسمى دكرور يراقب الأمور، ويرصد تحركات الروم وديسانسهم، ويعمل على إزالة نفوذهم من الشمال الإفريقي، لكن إرادة الله لم تطل به المقام، حيث توفي مولاه مسلمة ابن مخلد الأنصاري والي مصر سنة ٦٢ هـ وكان مسلمة سنداً قوياً بعد الله لأبي المهاجر فلما زال هذا السند، أعاد يزيد بن معاوية ٦٠، ٦٤ هـ عقبه بن نافع إلى إفريقية ثانية وعزل أبا المهاجر.



١٥٠ ٣٠٠ ١٥٠ ٦٠٠ كم

١ أبو المهاجر يتوجه لملاقاة طول الروم وجيوش البربر في مدينة ميلة .

٢ استطاع أبو المهاجر من الانتصار على الجيش الرومي والبربري، ثم مكث في المدينة سنتين يدعو فيها للإسلام مما أسهم في دخول جماعات كبيرة في الدين الحنيف .

٣ نتيجة للاستقرار الأمني في هذه المنطقة من قسنطينة إلى بجاية لم تقع فيها حروب .

٤ الروم البيزنطيون يحثون البربر ( البرانس ) بقيادة كسيلة بن لمزم، في المغربين الأوسط والأقصى للتصدي للقوات الإسلامية .

٥ الجيش الإسلامي بقيادة أبي المهاجر دينار يتوجه لملاقاة كسيلة بن لمزم وقواته .

بعد أن استكمل كسيلة عدته عسكر في تلمسان، وانتظر اللقاء المرتقب مع أبي المهاجر ولم يطل انتظاره، فقد وصل أبو المهاجر، وعسكر بجيشه حول تلمسان، فألتقى الجيشان ودارت معركة قاسية، أبلت فيها كل من الفريقين بلاءً كبيراً، وأدركوا خطورتها وأن لها ما بعدها، وكثر القتلى من الجيشين، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهزموا جيش كسيلة فولئى هارباً من أرض المعركة.



بناء أخرى من مدينة ميلّة

**ميلة:** بالكسر ثم السكون، ولام: مدينة صغيرة بأقصى إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، ليس لها غير المزدرع وهي قليلة الماء، بينها وبين قسطنطينية يوم واحد، قال البكري: وفي سنة ٣٧٨ في شوال خرج المنصور بن المهدي من القيروان غازياً لكتامة فلما قرب من ميلة زحف إليها ناوياً على اصطلام أهلها واستباحتها، فخرج إليه النساء والمعائز والأطفال فلما رأهم بكى وأمر ألا يقتل منهم واحد، وأمر بهدم سورهم وتسيير من فيها إلى مدينة باغاية، فخرجوا بجماعتهم يريدونها وقد حملوا ما خف من أمتعتهم، فلقبهم ماكس بن زييري بعسكر فأخذ جميع ما كان معهم وبقيت ميلة خراباً ثم عمّرت بعد ذلك وسوّرت وجعل فيها سوق وحمامات، وهي من أصل مدّن الزاب، في وسطها عين تعرف بعين أبي السباع مجلوبة تحت الأرض من جبل بني ساروت. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٤ .



زقاق قديم في مدينة ميلّة الجزائرية



مدينة تلمسان - الجزائر

تقع ولاية **تلمسان** شمال غربي الجزائر يحدها شمالاً البحر المتوسط وجنوباً ولاية النعامة وشرقاً ولايتي عين تموشنت، وسيدي بلعباس وغرباً المغرب الأقصى. وهي منطقة تاريخية وسياحية، كانت تعرف ببوماريا في العهد الروماني واتخذها الزيانيون عاصمة لهم.

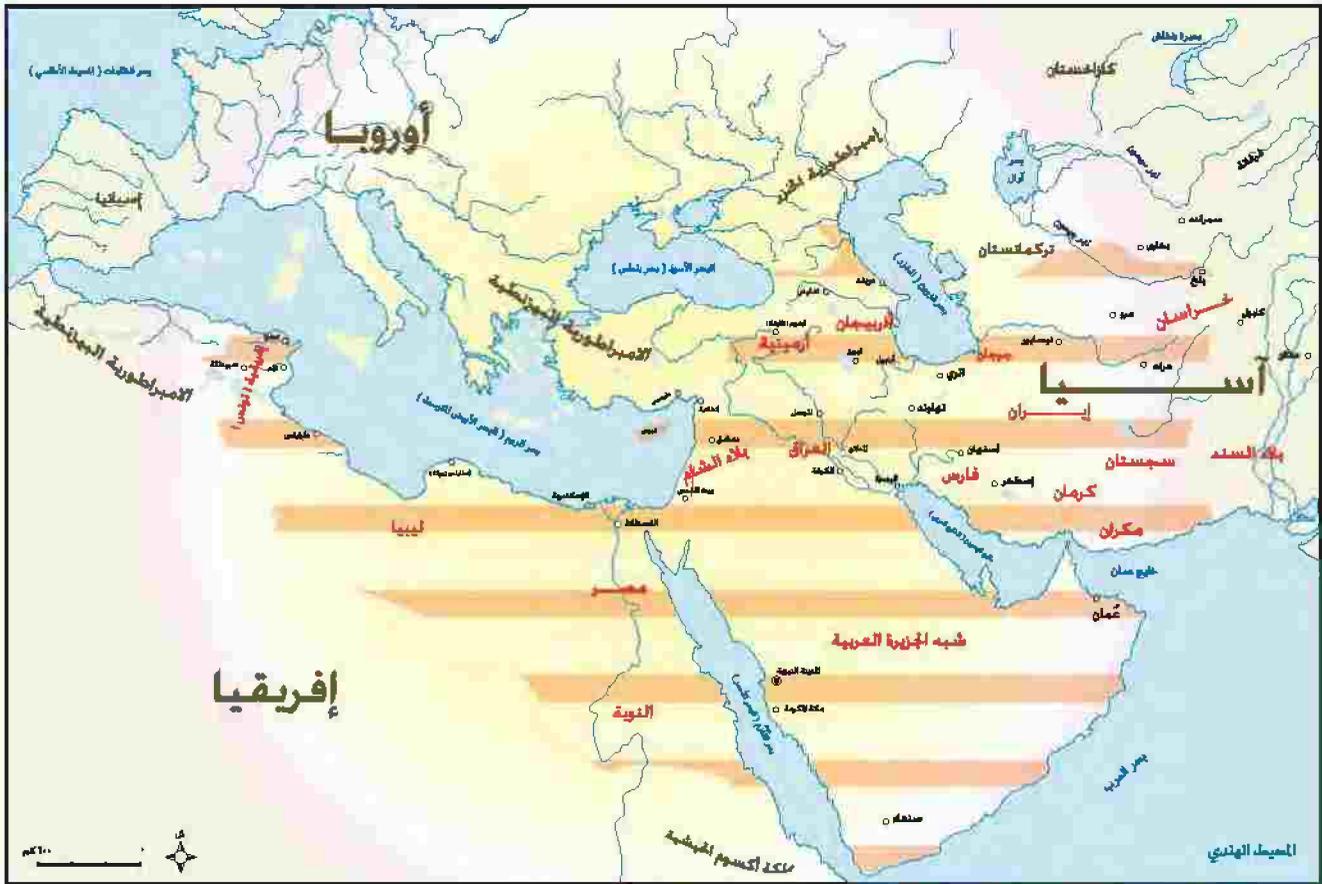
تنقسم ولاية تلمسان إلى ٢٢ دائرة و ٥٢ بلدية. كما تعتبر مدينة تلمسان مدينة سياحية لما فيها من آثار ومعالم سياحية مثل مغارات عين فزة، المنصورة وندرومة، ميناء هنين، ومساجد بني سنوس التي تعود للعهد المرابطي.



قلعة المنصورة بتلمسان - الجزائر

**رابعاً : فتوحات الجبهة الشرقية**

كان المسلمون حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد أتموا فتح البلاد التي تقع بين العراق ونهر جيحون، وتضم جرجان وطبرستان وخراسان وفارس وكرمان وسجستان، ( انظر الخارطة في هذه الصفحة من كتابنا الموسوم « أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه » ) وحينما قتل عثمان تعثرت حركة الفتح، وخرج أكثر أهل هذه البلاد عن الطاعة، حتى إذا جاء عهد معاوية رضي الله عنه أخذت دولته تبذل جهوداً بالغة لإعادة البلاد المفتوحة إلى الطاعة ومد حركة الفتح <sup>(١)</sup> .



**أصبحت حدود دولة الخلافة الراشدة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه**

١ - دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ص ٢١٩ .



قدم زياد بن أبي سفيان **خراسان** إلى أربعة أقسام هي: **مرو** وعلها أمير أحمد البشكري والذي كان أول من أسكن العرب في **مرو**، و**فيسابور** وعلها خالد بن عبد الله الحنفي، **مرو الرود** و**المطالقان** و**القازياب** وعلها هيس بن الهيثم السلمي، **هرات** و**بازغنم** و**بوشنج** و**قاندوس** وعين عليها نافع بن خالد الطاحي الأزدي .

معاوية يؤمر عبد الرحمن بن سمرة على **سجستان** كمكافأة له على تحقيقه الفتوحات في الإقليم.

### معاوية استناب الأمن في خراسان وسجستان في عهد معاوية

١ معاوية بن أبي سفيان يوّلي عبد الله بن عامر والياً على البصرة، ويكلفه بفرض الأمن على إقليمي سجستان وخراسان .

٢ ابن عامر، يُعين عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس والياً على سجستان حيث قدم إليها وعلى شرطته عبّاد بن الحصين الحبطي ومعه من الأشراف عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعبد الله بن خازم السلمي، وقطري بن الفجاءة، والمهلب بن أبي صفرة الأزدي ففتحوا في هذه الحملة مدينة **زرنج** صلحاً، ووافق مرزبانها على دفع ألفي ألف (مليون) درهم، وألفي وصيف. ثم تقدموا نحو مدن خواش، وبست، وخشك، وغيرها من البلدان وتمكنوا من فتحها، كما تمكنوا من فتح مدينة كابل بعد أن ضربوا عليها حصاراً استمر لعدة أشهر .

٣ انظر الخارطة في الأعلى .

٤ حينما قدم زياد بن أبي سفيان البصرة معيماً عليها بدل عبد الله بن عامر، والذي عزله معاوية سنة ٤٥هـ عادت ولاية خراسان وسجستان مرة أخرى تحت إشراف والي البصرة مباشرة .

فتوحات الحكم بن عمرو الفخاري في أقاليم خراسان



الحكم بن عمرو الفخاري يغزو طخارستان حينما ارتدوا عن الإسلام فأخذهم بالسيف عنوة وغنم منهم غنائم كثيرة، ثم واصل فتوحاته في بلاد الترك، وكان بصحبته المهلب بن أبي صفرة .

قطع الحكم نهر جيحون وعبر إلى ما وراء النهر في ولايته ولم يفتح وكان أول من شرب من مائه من المسلمين هو أحد موالي الحكم، فقد اغترف بترسه بماء النهر، فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين، وكان الحكم أول من فعل ذلك وقد مات الحكم سنة ٥٠هـ.

استكمال فتوحات أقاليم خراسان على يدي الليثي والحارثي



الصحابي الجليل **غالب بن فضالة الليثي** الذي واصل سياسة سلفه في إرسال حملات منظمة في فتح طخارستان لكنه برغم كل الجهود التي بذلها لم يحرز أي تقدم يذكر في ولايات طخارستان من إقليم خراسان لذلك عزله زياد بن أبي سفيان .

زياد بن أبي سفيان يولي **الربيع بن زياد الحارثي** « ٥٢ . ٥٠ هـ »، القيادة على الإقليم حيث استطاع الربيع بن زياد إبان فترة ولايته على خراسان أن يقزو **بلخ** ويصالحه أهلها، ثم يغزو **قوهستان** فيفتحها عنوة، ثم إن ابنه عبد الله خلفه لبضعة أشهر من عام ٥٢ هـ .

حملة عبید اللہ بن زیاد وعبور نهر جيحون



قال البلاذري: الطيبسين؛  
وهما حصنان يقال لأحدهما:  
طيس، وللآخر كرين وهما  
جرم فهما نخل وهما بابا  
خراسان، فتح البلدان ج: ١  
ص: ٣٩٤.

وصل عبید اللہ إلى مرو حتى قاد حملة مكونة من ٢٤ ألف رجل وقطعوا نهر جيحون على الإبل وفتحوا راميثين ونسف وبيكتدة. قال اليعقوبي: وصار عبید اللہ بن زیاد إلى خراسان، فبدأ ببخارى، وعليها ملكة يقال لها خاتون فقاتلهم حتى فتحها، ثم قطع نهر بلخ، وكان أول عربي قطع نهر بلخ، وحاربه القوم محاربة شديدة، وكان الظفر له، ثم انصرف من خراسان إلى معاوية فولاه البصرة سنة ست وخمسين، وقيل أول سنة سبع وخمسين. تاريخ اليعقوبي (٢/٢١١).

استكمال فتوحات أقاليم خراسان على يدي الليثي والحارثي



**داهستان**

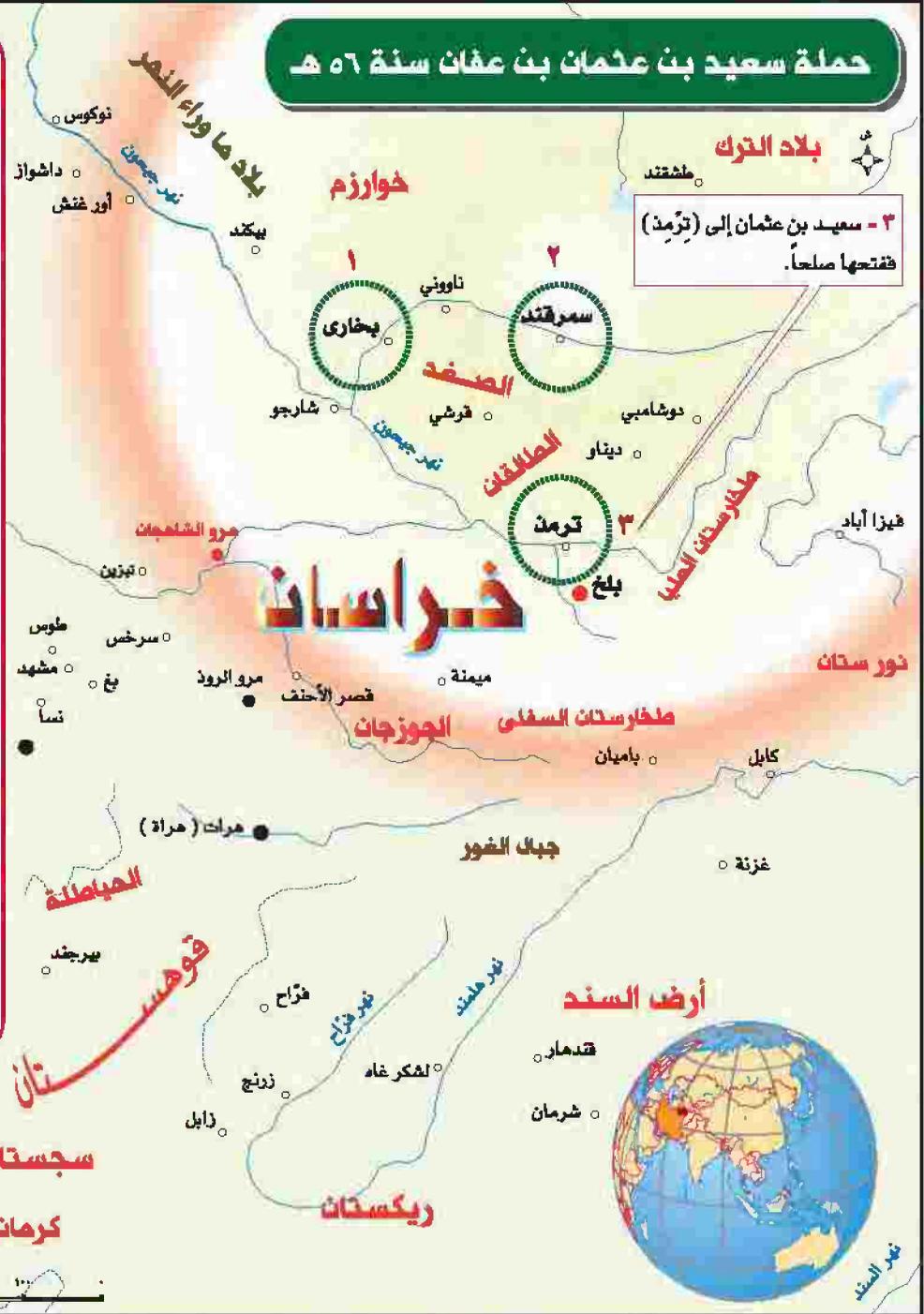
خليد بن عبد الله الحنفي يخلف الحارثي في إدارة الإقليم ، وظل خليد في منصبه هذا حتى وصل عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان عامل معاوية رضي الله عنه والياً على خراسان في سنة ٥٤ هـ . ٥٥ هـ وكان عمره ٢٥ عاماً .

الصحابي الجليل **خالد بن فضالة الليثي** الذي واصل سياسة سلفه في إرسال حملات منظمة في فتح طخارستان لكنه برغم كل الجهود التي بذلها لم يحرز أي تقدم يذكر في ولايات طخارستان من إقليم خراسان لذلك عزله زياد بن أبي سفيان .

زياد بن أبي سفيان يولي **الربيع بن زياد الحارثي** « ٥٢ . ٥٠ هـ » ، القيادة على الإقليم حيث استطاع الربيع بن زياد إبان فترة ولايته على خراسان أن يقزو **بلخ** ويصالحه أهلها ، ثم يغزو **قوهستان** فيفتحها عنوة ، ثم إن ابنه عبد الله خلفه لبضعة أشهر من عام ٥٢ هـ .

حملة سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٦ هـ

٢ - غزا سعيد **سمرقند**، فأعانتته خاتون بأهل بخارى، فنزل على باب سمرقند، وحلف ألا يبرح أو يفتحها وقاتل المسلمون أهل سمرقند ثلاثة أيام، وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث حيث **فُتحت عين سعيد**، ولزم أهل سمرقند أن يفتح سعيد ذلك القصر عنوة ويقتل من فيه، فطلبوا الصلح، فصالحهم على سبعمائة ألف درهم، وعلى أن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم، وعلى أن يدخل المدينة ومن شاء ويخرج من الباب الآخر، فأعطوه خمسة وعشرين من أبناء ملوكهم، ويقال: إنهم أعطوه أربعين من أبناء ملوكهم، ويقال: ثمانين وكان معه من الأمراء المهلب ابن أبي سفيرة الأزدي وغيره واستشهد معه يومئذ **قثم بن العباس بن عبد المطلب**، وكان يُشبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان أخوه عبد الله بن عباس دفن بالطائف وأخوه سعيد استشهد بإيريقية وعبيد الله بالمدينة وكلهم من أب واحد وأم واحدة .



١ - قدم سعيد بن عثمان خراسان **فقطع النهر إلى (سمرقند)** وبلغ خاتون ملكة بخارى عبوره النهر، فعملت إليه الصلح الذي صالحت عليه عبيد الله بن زياد وأقبل أهل الصغد وكش ونسف إلى سعيد في مائة ألف وعشرين ألفاً، فالتقوا ببخارى، وقد ندمت خاتون على أدائها الجزية، فنكثت العهد ولكن قسماً من الحشود المجتمة لقتال سعيد انصرفوا قبل مباشرة القتال، فأثر انصرافهم في معنويات الآخرين واهتزت معنوياتهم، فلما رأت خاتون ذلك، أعادت الصلح، فدخل سعيد مدينة بخارى فاتحاً، د . الصلابي، الدولة الأموية، ص ٢٨٠ .



مرصد فلكي قديم في ترمذ

**تَرْمِذٌ:** قال أبو سعيد: الناس مختلفون في كيفية هذه النسبة، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم يقول بضمها وبعضهم بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم، والذي كنا نعرفه فيه قديماً بكسر التاء والميم جميعاً، والذي يقوله المتأنقون وأهل المعرفة بضم التاء والميم، وكل واحد يقول معنى لما يدعيه. وترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالصفانين، ولها قُهدز وريض، يحيط بها سورٌ، وأسواقها مفروشة بالأجر، ولهم شرب يجري من الصفانين لأن جيحون يستقل عن شرب قراهم. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٢٦.

قلت: وتَرْمِذ هي بلدة تاريخية في آسيا الوسطى فتحها المسلمون على مراحل في العهد الأموي. واشتهرت في تاريخ الحضارة الإسلامية الأسيوية بمراصدها الفلكية ( انظر الصورة في الأعلى ) .

والترمذي ( نسبة الى ترمذ ) وهو لقب عدد من الفقهاء والمحدثين أشهرهم الترمذي المحدث أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي . الذي ولد حوالي عام ٢٠٩ هـ ( ٨٢٤ م ) .. وقيل إنه كان أكمه .. كما أصيب بالعمى .. وهو أحد أصحاب السنن ( أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ) . وأدرك في حياته الإمام البخاري ؛ واشتهر الترمذي بمؤلفه الكبير . في الحديث المعروف بـ " الجامع الصحيح " توفي عام ٢٧٩ هـ ( ٨٩٢ م ) .

١ - قال ابن الأثير: سار **سلم** إلى خراسان كتب معه يزيد إلى أخي عبيد الله بن زياد ينتخب له ستة آلاف فارس وقيل: ألفي فارس وكان سلم ينتخب الوجوه ففزع معه عمران بن الفضل البرجمي والمهلب بن أبي صفرة وعبد الله بن خازم السلمي وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وحفظة بن عرادة ويحيى بن يعمر المدائني وصلة ابن أشيم العدوي وغيرهم وسار **سلم** إلى خراسان وعبر النهر غازياً وكان عمال خراسان قبله يفزون فإذا دخل الشتاء رجعوا إلى **مرو الشامجان** فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة **مما يلي خوارزم** فهتافون أن لا يقزو بعضهم بعضاً ويتشاورون في أمورهم فكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم، فلما قدم سلم غزا فشتا في بعض مغازيه فآلح عليه **المهلب ابن أبي صفرة** وسأله التوجه إلى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف، وقيل: أربعة آلاف فحاصروهم فطلبوا أن يصالحوهم على أن يقدوا أنفسهم فأجابهم إلى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف، وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً فكان يأخذ الرأس والداية والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف فعظي بها **المهلب** عند سلم وأخذ سلم من ذلك ما أعجبه وبمك به إلى يزيد. الكامل في التاريخ، ٢ / ٨٤٤.



فتوحات **سلم بن زياد** أخو عبيد الله بن زياد في بلاد ما وراء النهر سنة ٥٧ هـ

٢ - قال ابن الأثير: وغزا **سلم سميرقند** وعبرت معه النهر امراته أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية وهي أول امرأة من العرب قطع بها النهر فولدت له ابناً سماه صفدى واستعارت امرأته من امرأة صاحب الصفد حينها فلم تعد إليها وذهبت به. ووجه جيشاً إلى خجندة فيهم أعشى همدان فهزموا فقال أعشى: ليت خيلي يوم الخجندة لم تهزم. تحضر الطير مصري وتروحت وغودرت في المكر سليماً إلى الله بالدعاء خضيباً. الكامل في التاريخ، ٢ / ٨٤٤.





